القصة القرآنية كما تصورها سورة الذاريات

(دراسة موضوعية تفسيرية)

د/ رانيا محمد عزيز نظمي

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد

كلية الآداب بدمنهور

ملخص البحث

يعد القصص القرآني واقعاً لمشاهد حقيقة، حيث لا مجال للخيال فيه، كما لا يوجد روابط وعلاقة له بالحكايات والأساطير التي يحيكها المؤلفون، والتي عادةً تكون من نسج الخيال. يعد مصدر القصص القرآني من الله سبحانه وتعالى، إذ جاء مناسباً لما يحتاج الناس إليه من عبر وتعاليم، كما جاء مخاطباً لمكنون أنفسهم وعقولهم. لا يعتبر تأريخاً للبشرية والناس طبقاً لمنهج المؤلفين والمؤرخين بالرغم من أنّه جاء مستنبطاً من الواقع وتألف من الحقائق؛ حيث إنّه لم يهتم بتحليل الأحداث أو الأماكن، إنّما تناول من التاريخ ما ينفع الدعوة الإسلامية ويفيدها. يهدف التكوين القصصي للقصص القرآني لخدمة القضية الرئيسية والأولى، ألا وهي الدعوة لتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له. لا يولى القرآن الكريم عنايةً واهتماماً لكل من عنصر المكان والزمان، إذ لا يذكرهما إلا في حال كانا يخدمان القضية الأساسية. لعبت المشاهد التي قام القصص القرآني بذكرها والاستعانة بها دوراً كبيراً في تحقيق الهدف المنشود الذي تم ذكرها من أجله. يعد الهدف من تكرار القصة الواحدة أكثر من مرة في عدة مواقع هو التأكيد والتوضيح. يعد الأسلوب القرآني أسلوباً شيقاً وراقٍ، إذ لا يؤثر في العبرة أو المعنى المستهدف من ذكر القصة التي يتحدث عنها القرآن. أهداف ومقاصد القصص القراني من أهم القضايا التي تعالجها سورة الذاريات

Research summary

Features and characteristics of Quranic stories The Quranic stories are a reality of the real viewer, there is no room for imagination in it, and there is no links and relationship to the stories and legends that are woven by the authors, which are usually imaginary. The source of the Quranic stories of God Almighty, as it is appropriate for what people need from the cross and teachings, as he came to address themselves and their minds. Is not considered a history of mankind and people according to the methodology of authors and historians, although it was derived from reality and made up of facts; he did not care about the analysis of events or places, but from history, what benefits the Islamic call and useful. The purpose of the narrative formation of Quranic narratives is to serve the main and first issue, namely, the call to unify God and worship Him alone and have no partner. The Holy Qur'an does not pay attention and attention to both the element of time and place, as it does not mention them unless they serve the basic issue. The scenes that the Quranic stories have mentioned have played a big role in achieving the desired goal for which they were mentioned. The goal of repeating a single story more than once in several locations is to emphasize and clarify. The Qur'anic method is an interesting and interesting method, as it does not affect the lesson or the intended meaning of mentioning the story that the Qur'an speaks about. The objectives and purposes of Quranic stories are among the most important issues addressed by Surat Al-Dhariyat

المقدمة :

تميز القرآن الكريم بأسلوب فذ في خصائصه مما جعلت له طابعا معجزا في لغته وبلاغته، وقد نوع القرآن الكريم ذلك الأسلوب في طريقه للوصول إلى هداية الناس ودعوتهم تنوعا أتى على فنون التعبير كافة، ويعد من إعجازه، فالمتأمل لآيات الكتاب العزيز وما نوع في مخاطباته من فنون التعبير، خطابا مباشرا أو غير مباشر ، ترغيبا أو ترهيبا، أسلوبا خطابيا أو سردا قصصيا ، حوارا أو منارة، إلى غير ذلك من أفانين القول، يجد "أن القرآن جاء بهذا الأسلوب الرائع الخلاب الذي اشتمل على تلك الخصائص العليا والتي لم تجتمع بل لم توجد خاصة واحدة منها في كلا على نحو ما وجدت في القرآن وكل ما كان من هذا القبيل فهو لا شك معجز خصوصا أن النبي صلى الله عليه وسلم تحدى به فأعجز السنة الفصحاء وأعيا مقاويل البلغاء وأخرط ألسنة فحول البيان من أهل صناعة اللسان وذلك في عصر كانت القوى فيه قد توافرت على الإجادة والتبريز في هذا الميدان وفي أمة كانت مواهبها محشودة للتفوق في هذه الناحية وإذا كان أهل الصناعة قد عجزوا عن معارضة القرآن ففيرهم أشد عجزا وأفحش عيا، وها قد مرت على اللغة العربية من عهد نزول القرآن إلى عصرنا هذا أدوار مختلفة بين علو ونزول واتساع وانقباك وحركة وجمود وحنارة وبداوة والقرآن في كل هذه الأدوار واقف في عليائه يطل على الجميع من سمائه وهو يشع نورا وهداية ويفيل عذوبة وجلالة ويسيل رقة وجزالة ويرف جدة وتلاوة ولا يزال كما كان غنا بريا يحمل راية الإعجاز ويتحدى أمم العالم في يقين وثقة قائلا في صراحة الحق وقوته وسلطان الإعجاز وصولته: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] (١)

(١) السابق (٢ / ٣٣٣).

وينقسم الي مباحث

المبحث الأول: تعريف القصة القرانية (لغة واصطلاحا)

المبحث الثاني: أغراض القصة القرانية

المبحث الثالث: خصائص القصص القراني

المبحث الرابع: التربية في القصص القراني

المبحث الخامس: المميزات التربوية للقصص القراني

المبحث السادس: الخصائص الفنية والذاتية للقصة القرانية –تطبيقا على سورة الذاريات

الخاتمة والنتائج

المبحث الأول

القصة في التعريف اللغوي والاصطلاحي، وفي القران الكريم

أ- تعريف القصة في اللغة:

القص : تتبع الأثر. يقال : قصصتُ أثره : أي تتبعته ، والقصص مصدر، قال تعالى ﴿ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الكهف: ٦٤] أي رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به. وقال على لسان أم موسى ﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ ﴾ [القصص: ١١] أي تتبعي أثره حتى تتَري من يأخذه.

والقصص كذلك: الأخبار المتتبعة قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ [آل عمران: ٦٢] ، وقال ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾ [يوسف: ١١١] والقصة : الأمر ، والخبر، والشأن ، والحال ، وقد اقتصيت الحديث : رويته على وجهه. والقِصص – بكسر القاف– جمع القصة التي تكتب والأقصوصة مفرد أقاصيص: القصة القصيرة [١].

ب- تعريف القصة في الاصطلاح :

وإذا نظَرنا إلى القصة في الاصطلاف الأدبي وجدنا الأدباء المعاصرين يعرفون القصة تعريفات شتى لعل أقربها إلى جوهر القصة الحديثة هو قولهم:

هي "حكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معاً ، وتبنى على قواعد معينة من الفن الكتابى" [٢] .

إذًا فالقصة – عامة – هي "الإخبار عن قنية ذات مراحل يتبع بعنها بعنًا"[٣] .

---

(١) مباحث في علو٧ القرآن – (ص ٣١٦) مناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

(٢) تجديد الصحاح في اللغة والعلوم، الجوهري، دار الحضارة العربدت بيروث، ٢/ ٣١٣ – ٣١٤، عن التوجيهات الإلهية للفرد المسلم من خلال القصص القرآني في سورة القصص (ص٣).

(٣) مباحث في علوم القرآن (ص ٣١١) مناع القطان.

جـ - تعريف القصة في القرآن الكريم:

وهذه هي دلالة التعريف اللغوي ومنه يَهر الارتباه بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي وإلى بعل ذل٠ نحت القصة القرآنية.

ف"قصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية ، والنبوات السابقة ، والحوادث الواقعة وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم ، وذكر البلاد والديار. وتتبع آثار كل قول ، وحكى عنهم صورة نايقة لما كانوا عليه" (١).

فلا مجال للخيال هنا إنما القصة القرآنية واقع، ولا مجال للهزل فهي جد محل، نعم تلوف أمارات البسمة ونسمات المرف والفرف خلال أجوائها لكنها جادة في غايتها وهدفها جادة في وسائلها ويرائقها جادة في تناولها، وهي نعم تأخذ بخيال مستمعيها إلى حيث الزمان والمكان البعيدين ولكنها واقعية كل الواقعية حقيقية كل الحقيقة، لا يداخلها الكذد أو الزور ولا تقارف هي الإفك أو البهتان.

ذلك أن "القصص القرآني بوصفه أعَم المصادر وأوثقها في أيدي العرب لمنهج متميز في قص القصص باللغة العربية، تكفي للكشف عن الفارق الهائل بين القصص القرآني وقصص الشعود واللفات الأخرى من الأساطير والروايات والمسرحيات، بلغ هذا الغارق حد ما بين الجد والهزل وما بين الحق والكذب (٢)

فالفارق شاسع وفي جميع المجالات والمقاصد والأغراك ويتنح أن الغاية أن يكون ذلك القصص نفسه هادياً للمؤمنين إلى الطريق الصحيح، والصراط المستقيم. فالله تعالى يقول:{ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا

(١) مباحث في علوم القرآن (ص ٣١١) مناع القطان.

(٢) قصص القرآن في مواجهة أدد الرواية والمسرف: أحمد موسى سالم، بيروت، دار الجيل، ص٢١١. عن التوجيهات الإلهية ص٤.

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} [يوسف : ٣] ، ثم يقص اهلل تعالى قصة يوسف وإخوته ؛ فالقصص الحسن هنا ليس الرواية المتخيلة من الواقع وليست الرواية المصنوعة بمحاكاة الواقع ، إنما هي التاريخ والخبر وحقيقة ما كان ، إنها مشاهد التاريخ في حركةٍ وصورٍ وأصواتٍ ، ونجد أن البطل الحقيقي في القصص القرآني ليس هذا الإنسان بذاته الذي تدور به أو من حوله أحداع الخبر ؛ فالبطل هو القانون التاريخي المرتبو بعقيدة الإنسان وأخلاقه وسلوكه ، والبطل هو هذا القانون الذي تَهر نتائجه في أقوال وأفعال الإنسان المؤمن أو الكافر في الجماعة التي يعبر عنها أو التي يعارضها ؛ فالبطل مثلاً ليس يعقود عليه السلام وأولاده ، إنما هو "الهداية" في يعقوب عليه السلام و" الحسد " في أولاده ، والبطل أيناً ليس يوسف عليه السلام وامرأة العزيز ؛ بل هو " الطهارة والأمانة " في يوسف عليه السلام، و"الشهوة" في امرأة العزيز، وهكذا في مختلف المواقف يكون الإنسان بهداية الإيمان أو بنلالة الكفر رمزًا لقانون يحكم [١] .

وعلى ما منى يتنح أن الإنسان في قصص القرآن لم يكن شيجاً مذكوراً من أجل استعراك آلاف الاحتمالات المتخيلة لقوته أو لضعفه ؛ بل هو إنسان مذكور داخل جماعته يحمل قيماً ومبادة ، ونرى أن الأسوة لغيره، وهو القدوة لمن يقتدي به ؛ لأنه أعطى قانون البرهان العقلي[٢]

وهكذا يرى المتأمل للقصص القرآني تميزه عن غيره من القصص وما شابهها من الفنون المستحدثة كالرواية والمسرحية والأقصوصة شأنه في ذلك شأن القرآن الكريم في تميزه في كافة شجونه، وسنعرك لمميزات

(١) السابق، ص ٢١٢.

(٢) يوسف في القرآن: أحمد ماهر ، الإسكندرية ، ٧١٨١١ ، ص٨٥. عن التوجيهات الإلهية ص٤.

القصص القرآني وخصائصه ثم المقارنة بينه وبين غيره بعد فصول من القول.

أغراض القصص القراني:

سيقض القصة القرآنية لعدة أغراض تجمعها غاية واحدة هي الغاية العامة من القرآن كله ألا وهي الهداية بمعنى الدلالة والبيان والتوضيح للطريق المستقيم.

-معنى الغرض:

والغرض هو القصد الذي نزلت من أجله القصة القرآنية، وهو الذي من أجله بنيت على صورة خاصة وعرضت بأسلوب خاص.

-دور القصة القرانية في معالجة قضايا المجتمع:

ونجد القصة القرآنية وهي تتشمل هذه الأغراض مجتمعة أو بعضها تؤدى إلى جانب ذلك "الوِظيفة التي تؤديها القصة في المجتمع وتخدم بها الحياة والأحياء، هذه الوِظيفة نستطيع عدها غرضاً عاماً للقصة أدته في المجتمع العربي على اختلاف ألوانه، وعلى ما فيه من مؤيدين ومعارضين"(١).

جمع التعبير القراني بين الغرض الديني والغرض الفني:

أدت القصة هذا الغرض في المجتمع العربي إلى جانب أغراض كثيرة تؤديها القصة القرآنية ف "ليست القصة القرآنية عملاً فنيًا مطلقًا مجردًا عن الأغراض التوجيهية، إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى تحقيق أغراضه الدينية الربانية، فهي إحدى الوسائل لإبلاغ الدعوة الإسلامية وتثبيتها. والتعبير القرآني مع ذلك يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني، وبهذا امتازت القصة القرآنية بميزات تربوية وفنية (...) فالقصص القرآني

(١) القرآن نَظرة عصرية جديدة، عبد المنعم الجداوي ص٦٠. عن التوجيهات الإلهية ص٥

يَجعَل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، وإثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية [١].

- أغراض القصص في القرآن الكريم:

١-تخفيف الضغط على النبي صلى اهلل عليه وسلم

فهذا النغو كان قوياً وعنيفاً، وكانت أسبابه واضحة جلية؛ من كيدٍ للنبي والقرآن والدعوة للإسلام، وهذا أثر بطريقة مباشرة" في نفس النبي، ودفعه إلى أن يضيق صدراً؛ فقد قال اهلل تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَكَ يَنِيقُ فَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ، وقال أيضاً: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَهُ لَيَحْزُنُكَ اَلذِي يَقُولُونَ فَبِنَهُمْ لاَ يُكَذِبُونَكَ وَلَكِنَ الاِلمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ، لقد كان لما يقوله الكفار أثر بالغٌ في نفس النبي ونفس أتباعه وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِن كُنت فِي شَكٍ مِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ اَلذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَادَ مِن قَبْلِكَ لقَدْ جَاءكَ الْحَقُ مِن رَبِكَ فَلاَ تَكُونَنَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ فان كنت "يا محمد صلى صلى عليه وسلم" (في شك مما أنزلنا إليك) {من القصص فرضاً} فاسأل الذين يقرأون الكتاد {أي التوراة} من قبلك {فانه ثابت عندهم يخبرونك بصدقه، وقد قال قتادة بن دعامة: بلغنا أن رسول اهلل صلي اهلل عليه وسلم قال: (لا أشك ولا أسأل) ،إن هذا الضغو لم يقف عند حده ؛ بل لجاور ذلك إلى ما هو ابعد مدى، قال الله تعالى ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ ﴾ ، وقال أيضاً ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾ ونجد أن القرآن صرف بهذا الغرض وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ

(١) القصص في القرآن الكريم ص ١١، إسلام محمود دربالة، بدون بيانات.

عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ نتبين من هذه الآية أن الغرض هو التثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم وموعظة وذكرى للمؤمنين [١].

٢- توجيه العواطف القوية الصادقة نحو عقائد الدين الإسلامي ومبادئه، ونحو التضحية بالنفس والنفيس في سبيل كل ما هو حق، وكل ما هو خير، وكل ما هو جميل.

ولعل هذه العواطف هي التي تدفع إلى النشاط للدعوة ، كما تجعل الإنسان يستعذب الألم ويتحمل الأذى في سبيلها ، ومن هنا يكون التوجيه نحو القيم الجديدة والإيمان بها ، ثم الدفاع عنها ، والعمل على حث الناس على الإيمان بها إيماناً لا تزعزعه الحوادث ، وأيضاً تكوين عواطف قوية وصادقة ضد ما هو قبيح وذميم من الأشياء والعادات والأعمال.

ومن أهم الأمور التي وجه القرآن العواطف نحوها مشكلات البعث والوحدانية ، وبشرية الرسل ، وتأييد بعضهم بالمعجزات [٢]، وإثبات الوحي والرسالة ، وبيان أن الدين كله من عند الله ، من عهد نوح عليه السلام إلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة ، والله واحد رد الجميع [٣]

أما الأشياء التي وجه القرآن العواطف ضدها فهي كثيرةٌ ومتنوعة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر:

١- بخس الناط أشياءهم ، وتطفيف المكيال والميزان ، والزنا والربا ، والسرقة والنميمة.

(١) بحوث في قصص القرآن، عبد الحافظ عبد ربه، دار الكتتاب اللبناني، ص ٨٩ عن التوجيهات الإلهية ص ٦.

(٢) الفن القصصي في القرآن، ص ٢٠٠ عن التوجيهات الإلهية.

(٣) روح الدين الإسلامي، ص ٨هـ١. عن التوجيهات الإلهية.

٢-" إبليس " - لعنه الله - فقصة إبليس مع آدم قصة بليغة وهي إحدى نماذج القصص القرآني.

٣-الإيحاء أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول حقا، وتأييده بما اصطفاه الله من الرسالة، من التحدي بالغيب، والإعجاز بمعرفة تفاصيل لا يطلع عليها أحد لا علام الغيوب.

ولهذا ناحيتان :

١- بلوغ قمة التوحيد والإيمان والتسليم والتوكل على الله اعتزازاً به.

مما يحقق الأسوة الصالحة والقدوة الطيبة ؛ لتملأ النفس المطمئنة بالعزة بالله واللجوء إلى حماه .

٢-تعليم الأدب في الحوار والرقة والتلطف والعطف ليتعلم الداخلون في الإسلام تلك القيم، ويعيشونها [١].

٣-ومن ناحية أحرى تصديق الأنبياء السابقين ، وتخليد مآثرهم ، وبيان نعمة الله تعالى عليهم كقصص سليمان وداود وأيود وإبراهيم عليهم السلام وغيرهم ؛ إذ وردت حلقات من قصص هؤلاء الأنبياء عليهم السلام برزت فيها النعمة من الله في مواقف شتى .

٤- بيبان لدرج الله على الخوارق، وبيبان عالبة الاستقامة والصلاح، وعاقبة الانحراف والإفساد، وبيان الحكمة الإنسانية العاجلة، والحكمة الكونية البعيدة الآجلة

وذلت كما في قصة موسى عليه السلام والخضر. وقصة الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه[البقرة:٩هـ٢]، وقصة خلق آدم[البقرة من ٣٣ إلى ٣١]، [وآل عمران : ٩هـ] ، وقصة إبراهيم والطير الذي آد إليه بعد أن جعل على

(١) دروس وعظات وعبر في قصة يوسف عليه السلام، عبد الرحمن عبد القادر المعلمي، دار الإيمان للطبع وانتشر والتوزيع، دار القمة لتوزيع الكتاب ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣ ، ص٦.

كل جبل جزءاً منه قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٠] .

وهذا بيان تربوي "يثير انفعال الدهشة والخوف من الله لتربية عاطفة الخشوع والخضوع والانقياد ونحوها من العواطف الربانية".

٥-إثبات الوحي والرسالة.

وذلك عن طريق "تحقيق القناعة بأن محمدا وهو الأمي الذي لا يقرأ ولا يعرف عنه أنه يجلس إلى أحبار اليهود والنصارى ، يتلو على قومه هذه القصص من كلام ربه ، وقد جاء بعضها في دقة وإسهاب، فلا يشك عاقل في أنها وحي من الله ، وأن محمدا رسول الله يبلغ رسالة ربه ، والقرآن ينص على هذا الغرض نصاً في مقدمات بعض القصص أو في أواخرها فقد جاء في أول سورة يوسف ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف : ٢و٣] وجاء في سورة هود بعد قصة نوح: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ ... ﴾[هود : ٤٩]

إن "أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله عز وجل لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ .. ﴾ [إبراهيم : ٩]" [(١)].

(١) أصول في التفسير ، للشيخ محمد بن صالق العثيمين (ص ٥٣-٥٤).

ومن أغراض القصة القرآنية : بيان أن الدين كله من عند الله.

جاءت القصص القرآنية من أجل " إيضاف أسس الدعوة إلى الله ، وبيان أصول الشرائع التي يبعث بها كل نبي: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] (١).

وان الله ينصر رسله والدين امنوا ويرحمهم وينجيهم من المآزق والكروب، من عهد ادم ونوح إلى عهد محمد ، وأن المؤمنين كلهم أمه واحدة والله الواحد رب الجميع .

وكثيراً ما وردت قصص عدد من الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة، معروضة عرضاً سريعاً بطريقة خاصة لتؤيد هذه الحقيقة ، كما في سورة الأنبياء ، حيث ورد ذكر : موسى وهارون ، ثم لمحة موجزة عن قصة إبراهيم ولوط ، وكيف نجاهم الله وأهلت قومهما ، وقصة نوح ، وجانب من أخبار داود وسليمان ، وما أنعم الله عليهما ، وأيود حين نجاه الله من الضر، وورد ذكر إسماعيل وإدريس وذي الكفل وكلهم من الصابرين الصالحين . وذكر الله لنا ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا ... ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ثم قال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٨٩-٩٠] ثم يخاطب الله مباشرة جميع أنبيائه ورسله وأتباعهم بقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ [الأنبياء : ٩٢]

فتبين بهذه الآية الكريمة تقرير الغرض الأصيل من هذا الاستعراض الطويل وهو أن جميع الأنبياء يدينون ديناً واحداً ويخضعون لرد واحد يعبدونه وحده لا يشركون به شيئاً ، وعندما نستعرض خبر كل نبي نجد أن

(١) مباحث في علوم القرآن (ص ٣١٧).

الله قد شد أزره ونصره ونجاه من ألكرب الذي نزل به، أو المأزق الذي أوشك أن يقع فيه، كما نجى ذا النون (يونس) واستجاب لزكريا، وكما نجى إبراهيم وقد أوشك أن يحترق بالنار ؛ وأنه سبحانه دائماً ينعم على رسله والذين آمنوا إذا صبروا وصدقوا ، كما أنعم على داود بالنصر، وسليمان بالملك ، فشكروا نعمة ربهم .

٦-وفي هذا شد لأزر المؤمنين ، وتسلية لهم عما يلاقون من الهموم والمصائب ، وتثبيت لرسول الله ومن تبعه من أمته ، وتأثير في نفوس من يدعوهم القرآن إلى الإيمان وأنهم إن لم يومنوا لا محالة هالكون، وموعظة وذكرى للمؤمنين:

وقد صرف القرآن بهذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود : ١٢٠] وجاء في سورة العنكبوت لمحة خاطفة عن قصة كل نبي ، مختومة بالعذاب الذي عذب به المذنبون من قومه حتى ختمت جميع القصص المجملة بقوله تعالى:﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العكبوت : ٤٠] فعلى المربي أن يستحضر مكان الموعظة والذكرى من كل قصة ، ليحاور الطلاب حواراً يوجههم إلى معرفتها والتأثر بها والعمل بمقتضاها .

إن "تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده ، وخذلان البطل وأهله" من أولى المقاصد التي سيقت لها القصة في القرآن الكريم إن لم تكن أولاها.

٧- ومن أغراض القصة في التربية الإسلامية : تنبيه أبناء آدم إلى خطر غواية الشيطان [الأعراف : هـ٢ ، ٢٦ ، ٣٠] ، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم إلى أن تقوم الساعة، وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى ، وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجسة في النفس تدعو إلى الشر ، ولما كان هذا موضوعا خالدا فقد تكررت قصة آدم في مواضع شتى ، مما يدعو المربي إلى الإلحاح على هذا الموضوُع وتوجيه الطلاب إلى الحذر من غواية الشيطان في كل مناسبة ملائمة.

٨-تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم.

٩-مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البيناخ والهدى، وتحديه لهم بما كان في كتبهم لبل التحريف والتبديل

وذلك كقوله تعالى: ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٣].

١٠- القصص ضرب من ضروب الأدب، يصغى إليها السامع، وترسخ عبره في النفس :﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ.. ﴾ [يوسف : ١١١]

١١- بيان حكم الله تعالى فيما تضمنته هذه القصص لقوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ ﴾ [القمر : ٤ ، ٥]

١٢- بيان عدله تعالى بعقوبة المكذبين لقوله تعالى عن المكذبين : ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾

١٣-بيان فضله تعالى بمثوبة المؤمنين لقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ (٣٤) نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ [القمر : ٣٤ ، ٣٥].

١٤-تسلية النبي عما أصابه من المكذبين له لقوله تعالى : ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦)﴾ [فاطر : ٢٥ – ٢٧].

١٥-ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه والازدياد منه إذ علموا نجاة المؤمنين السابقين وانتصار من أمروا بالجهاد لقوله تعالى : ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٨].

١٦-تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم لقوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾

ثالثا. خصائص القصص القرآني.

توفرت للقصة القرآنية عدة خصائص أشير إليها إشارة موجزة في هذه السطور:

إن أكثر خصائص القصة القرآنية وموحاً هي[١] :

أولاً – الإيجاز:

إن خاصة الإيجاز المعجز فيما أورده القرآن الكريم من أخبار الأمم وقصص الرسل والأيام الغابرة من الخصائص الجديرة بأن تلفت نظر الباحث ليتعمق بها بكل ما فيها من آلام وآمال وعبر ومواقف عظيمة [٢]

(١) التوجيهات الإلهية للفرد المسلم من خلال القصص القرآني في سورة القصص (ص ٣) .

(٢) رضوان ، فتحي ، القصة القرآنية ، القاهرة – دار الهلال ١٩١٩ م ، ص ١٢. عن التوجيهات الإلهية ص٣.

ثانيا – بيان الغاية في كل ما ورد في القرآن الكريم من أنبار وأنباء وقصص[١] فهي دعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى . وهذه الغاية تتكون من عناصر أهمها:

١- أن الله واحد لا شريك له .

٢-أن قدرة الله سبحانه وتعالى عظيمة غير متناهية .

٣-أن الرسل عباد للرحمن يرسلهم على الناس لتهديهم إلى الدين القويم وهؤلاء الرسل أسرة واحدة يكمل بعضهم بعضاً .

٤-أن هؤلاء الرسل لبشريتهم حينما يدعون الناط إلى الدين الصحيق يجدون صداً وعزوفاً ، ثم لا يلبثان أن يصبحا عداوة وكرهاً .

٥-أن الله جل جلاله يؤيد رسله بمعجزات لإثبات صدقهم .

٦-أن الرسل يصبرون أمام جحود وعناد الكافرين [٢]

٧-ولعل الغايبة الكبرى والددف الأعظم للقصة القرآنية هو : إعجاز القرآن، وإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

٨-تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتقوية نفوط صحبه وإخوانه من خلال نصر الله تعالى لرسله وأولياثه وزجر الضالين والمعاندين وزحزحتهم عن مواقفهم فتتأثر النفوط بحسب ما تحتاج إليه . إذ يتولى عليها بيان نصر المؤمنين وخذلان الكافرين " وإحقاق الحق وإزهاق الباطل ويتكرر رفع راية العدل وسحق قوة الظلم من خلال القصص التي يذكرها القرآن ، بل بما يقع فيه التصريق بهذا التنبيه وإثارة هذه العقبة في كثير من مناسبات القصص [٣]

(١) نفسه ، ص ١٢.

(٢) نفسه ، ص ١٢.

(٣) عتر ، نور الدين ، القرآن الكريم والدراس ات الأدبية ، ص٢٢٢. عن التوجيهات الإلهية ص ٢.

٩-بث القيم الدينية الواضحة وترسيخ أسس الدين القويم بما يقع فى صياك القصص من حوار ومواعظ يصغي إليها السامع ويتابعها القارة سواء أكان موافقاً أو مخالفاً مؤمناً أو جاحداً لما في طبيعة القصص القرآنية من التشويق والإثارة [١] . إن القرآن الكريم اصطفى من الأحدا التاريخية الهامة في حياة المخلوقات ما يخدم الدعوة الإسلامية ويرسخ عقيدتها ويوجه المسلم توجيهاً صحيحاً ويفتق للناط طرقاً للعبرة والعظة منها كما أنه تخير من هذه الأحداع ما رآه صالحاً لبناء الصورة المحققة لهذه الغاية [٢] .

ثالثا: الواقعية:

فالقرآن لا يتحدث عن أساطير ولا يحكي خيالات أو بنات أفكار لا صحة لها ولا علاقة لها بالواقع، بل كل القصص التي حكاها لنا القرآن الكريم قد حدثت فعلا وباشر أبطالها أحداثها على أرض الحياة،

يقول ابن عثيمين رحمه الله تعالى: كما في أصول التفسير ص ٤٧" قصص القرآن أصدق القصص ؛ لقوله تعالى :﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ... ﴾ (يوسف : من الآية ٣) وذلك لاشتمالها على أعلى درجات الكمال في البلاغة وجلال المعنى، وأنفع القصص ، لقوله تعالى :﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ... ﴾ (يوسف : من الآية ١١١).

وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق.

(١) نفسه ص٢٢٢.

(٢) الخطيب ، عبد الكريم ، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، بيروت لبنان ١٩١٥ ص١٣. عن التوجيهات الإلهية ص ٣

رابعا: التربية بالقصص القرآني.

للقصة في التربية الإسلامية وظيفة تربوية لا يحققها لون آخر من ألوان الأداء اللغوي.

ذلك أن القصة القرآنية تمتاز بميزات جعلت لها آثارًا نفسية وتربوية بليغة، محكمة، بعيدة المدى على مر الزمن، مع ما تثيره من حرارة العاطفة ومن حيوية وحركية في النفس، تدفع الإنسان إلى تغيير مقتضى القصة وتوجيهها وخاتمتها، والعبراة منها [١].

أثر القصص القرآني في التربية:

مما لا شك فيه أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف – وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر، وتسترسل مع سياقها المشاعر لا تمل ولا تكل، ويرتاد العقل عناصرها فيجني من حقولها الأزاهير والثمار.

والدروس التلقينية والإلقائية تورع الملل، ولا تستطيع الناشئة أن تتابعها وتستوعب عناصرها إلا بصعوبة وشدة. وإلى أمد قصير. ولذا كان الأسلوب القصصي أجدى نفعًا، وأكثر فائدة.

والمعهود حتى في حياة الطفولة– أن يميل الطفل إلى سماُ الحكاية، ويصغي إلى رواية القصة، وتعي ذاكرته ما ياروى له، فيحاكيه ويقصه.

هذه الظاهرة الفطرية النفسية ينبغي للمربين أن يفيدوا منها في مجالات التعليم، لا سيما التهذيب الديني، الذي هو لب التعليم، وقوام التوجيه فيه.

وفي القصص القرآني تربة خصبة تساعد المربين على النجاف في مهمتهم، وتمدهم بزاد تهذيبي، من سيرة النبيين، وأخبار المامين وسانة الله في حياة المجتمعات، وأحوال الأمم. ولا تقول في ذلك إلا حقًا وصدقًا.

(١) القصص في القرآن الكريم (ص ٦).

ويستطيع المربي أن يصوغ القصة القرآنية بالأسلوب الذي يلائم المستوى الفكري للمتعلمين، في كل مرحلة من مراحل التعليم. وقد نجحت مجموعة القصص الديني للأستاذين "سيد قطب، والسحار" في تقديم زاد مفيد نافع لصغارنا نجاحًا معدوم النظير، كما قدم "الجارم" القصص القرآني في أسلوب أدبي بليغ أعلى مستوى، وأكثر تحليثا وعمقا، وحبذا لو نهج آخرون هذا النهج التربوي السديد [١].

(١) مباحث في علوم القرآن ص ٣٢٢.

المميزات التربوية للقصص القرآنى[١]:

تتميز القصة في القرآن الكريم من ناحية التربية بما يلي:

١) تشد القصة القارئ، وتوقظ انتباهه، فتجعله دائم التأمل في معانيها والتتبع لمواقفها، والتأثر بشخصياتها وموضوعها حتى آخر كلمة فيها. ذلك أن القصة تبدأ غالبا، وفي شكلها الأكمل، بالتنويه بمطلب أو وعد أو الإنذار بخطر، أو نحو ذلك مما يسمى عقدة القصة ، وقد تتراكم ، قبل الوفول إلى حل هذه العقدة، مطالذ أو مصاعذ أخرى، تزيد القصة حبكًا، كما تزيد القارة أو السامع شوقًا وانتباهًا، وتلهفًا على الحل أو النتيجة. ففي مطلع قصة يوسف مثلاً، تعرك على القارة (رؤيا يوسف عليه السلام) يصحبها وعد الله ، على لسان أبيه، بمستقبل زاهر، ونِعَم من الله يسبغها على الأسرة الفقيرة المتعثرة ، الداعية إلى الله . وتتتابع المصاثب والمشكلات على بطل القصة (يوسف عليه السلام) ويتابع القارة اهتمامه ينتظر تحقيق وعد الله ، ويترقب انتهاء هذه المصاثب والمشكلات بتلهف .

٢) تتعامل القصة القرآنية والنبوية مع النفس البشرية في واقعيتها الكاملة، متمثلة في أهم النماذج التي يريد القرآن إبرازها للكائن البشري، ويوجه الاهتمام إلى كل نموذج بحسب أهميته، فيُعرك عرمًا فادقًا يليق بالمقام ويحقق الهدف التربوي ، ففي قصة يوسف يعرك نموذج الإنسان الصابر على المصاثب في سبيل الدعوة إلى الله (في شخص يوسف)، ونموذج المرأة" المترفة تعرك لها حباثل الهوى فملأ قلبها الحب والشهوة"، ويدفعها إلى محاولة ارتكاب الجريمة ، ثم إلى سجن إنسان

(١) القصص في القرآن الكريم – (ص ٦) وقال مؤلفه: (اعتمدت في بعض هذه الميزات على صة يوسفامن خلال تعسير (سيد قطب): (في ظلال القرآن) ص ١٩٤٩ إلى ١٩٥١ وغيره.

بريء مخلص، لا ذنب له إلا الترفع عن الدنيا والإخلاص لسيده ، ومراعاة أوامر ربه .

ونموذج إخوة يوسف: تدفعهم الغيرة والحسد والحقد والمئامرة والمناورة ومواجهة آثار الجريمة والحيرة أمام هذه المواجهة.

ونموذج يعقوب: الوالد المحب الملهوف علي ولده . يعرض القرآن كل هذه النماذج البشرية عرضا واقعيا نظيفا من غير إفحاش ولا إغراء بفاحشة أو جريمة ، كما يفعل مؤلفو القصص التي يسمونها واقعية أو طبيعية ، من روادِ جاهلية القرن العشرين ، ذلك أن من أهم غايات القصة القرآنية : التربية الخلقية عن طريق علاج النفس البشرية علاجًا واقعيًا .

فالقصة القرآنية ليست غريبة عن الطبيعة البشرية ، ولا محلقة في جو ملائكي محل ، لأنها إنما جاءت علاجًا لواقع البشر ، وعلاج الواقع البشري لا يتم إلا بذكر جانب النعف والخطأ على طبيعته ، ثم بوصف الجانب الآخر الواقعي المتسامي الذي يمثل الرسل والمؤمنين، والذي تؤول إليته القصة بعد الصبر والمكابدة والجهاد والمرابطة ، أو الذي ينتهي عنده المطاف لعلاج ذلك النعف والنقص ، والتردي البشري في مهاوي الشرك أو حمأة الرذيلة ، علاجًا ينهل بالهمم ، ويدفع بالنفس للسمو ، ما استطاعت ، إلى أعلى القمم ، حيث تنتهي القصة بانتصار الدعوة الإلهية ، ووصف النهاية الخاسرة للمشركين الذي استسلموا إلى النعف والنقص ، ولم يستجيبوا لنداء ربهم فيزكوا أنفسهم .

٣) تربي القصة القرانية العواطف الربانية وذلك :

١) عن طريق إثارالانفعالات كالخوف والترقب ، وكالرضا والارتياف والحب ، وكالتقزز والكره ، كل ذلك يثار في طيات القصة بما فيه من وصف رائع ووقائع مصطفاة ، فقصة يوسف مثلاً تربي الصبر والثقة بالله ، والأمل في نصره ، بعد إثارة انفعال الخوف على يوسف ، ثم الارتياف إلى استلامه منصب الوزارة .

٢) وعن طريق توجيه جميع الانفعالات حتى تلتقي عند نتيجة واحدة هي النتيجة التي تنتهي إليها القصة، فتواجه مثلاً حماسة قارة القصة نحو يوسف وأبيه، حتى يلتقيا في شكر الله في آخر القصة، ويوجه بُغْض الشر الذي صدر عن إخوة يوسف حتى يعترفوا بخطجهم ويستغفر لهم أبوهم في آخر القصة، وهكذا ...

٥) وعن طريق المشاركة الوجدانية حيث يندمج القارة مع جو القصة العاطفي حتى يعيش بانفعالاته مع شخصياتها، ففي قصة يوسف يعتري القارة خوف أو قلق عندما يراد قتل يوسف، وإلقاءه في الجب ، ثم تنسرف العواطف قليلاً مع انفراج الكربة عنه ، ثم يعود القارة إلى الترقب عندما يدخل يوسف دار (العزيز) وهكذا يعيش القارة مع يوسف في سجنه وهو يدعو إلى الله ، حتى يفرف ببنقاذه ، ثم بتوليه وزارة مصر ، وبنجاة أبيه من الحزن ، وهو في كل ذلك رسول الله والداعية إلى دينه .

٤) تمتاز القصة القرآنية بالإقناع الفكري بموضوع القصة.

١) عن طريق االيحاء، والاستهواء والتقمص

فلولا صدق إيمان يوسف لما صبر في الجب على الوحشة، ولما ثبت في دار امرأة العزيز على محاربة الفاحشة والبعد عن الزلل، هذه المواقف الرائعة توحي للإنسان بأهمية مبادة بطل القصة وصحتها ، وتستهويه صفات هذا البطل وانتصاره بعد صبر ومصابرة طويلة ، فيتقمص هذه الصفات حتى إنه يقلدها ولو لم يقصد إلى ذلك ، وحتى إنه لَيردّدُ بعض هذه المواقف ويتصورها ويسترجعها من شدة تأثره بها .

٢) عن طريق التفكير والتأمل:

فالقصص القرآني لا يخلو من محاورات فكرية ينتصر فيه الحق ، ويصبق مرموقًا محفوفًا بالحوادع والنتائج التي تثبت صحته ، وعظمته في

النفس وأثره في المجتمع ، وتأييد الله له . ففي قصة يوسف نجد حوارًا يدور بينه وبين فتيين عاشا معه في السجن فدعاهما إلى توحيد الله.

وقصة نوف كلها حوار بين الحق والباطل ، وكذلك قصة شعيب ، وصالق وساثر الرسل: حوار منطقي مدعوم بالحجة والبرهان يتخلل القصة، ثم تدور الدواثر على أهل الباطل ويظهر الله الحق منتصرًا في نتيجة القصة، أو يهلك الباطل وأهله ، فيتظاهر الإقناُ العقلي المنطقي والإثارة الوجدانية ، والإيحاء وحب البطولة (الاستهواء) والدافع الفطري إلى حب القوة وتقليد الأقوياء ، تتظاهر كل هذه العوامل وتتنافر ، يؤيدها التكرار مرة بعد مرة ، فما أكثر تكرار بعض قصص القرآن حتى تؤدي بمجموعها إلى تربية التصور الرباني للحياة وللعقيدة واليوم الآخر وإلى معرفة كل جوانب الشريعة الإلهية معرفة إجمالية وإلى تربية العواطف الربانية من حب في الله ، وكراهية للكفر وحماسة لدين الله ولحماته ، ولرسل الله ، وولاء لله واننواء تحت لوائه ، وإلى السلوك المستقيم وفق شريعة اهلل ، والتعامل حسب أوامره ، وبهذا تحيو القصة القرآنية نفس الناشت بالتربية الربانية من جميع جوانبها العقلية والوجدانية والسلوكية.

سابعا: القصة وسيلة دعوية

وتمثل القصة القرآنية كذلك زادا قويا للدعاة إلى اهلل تعالى ومن ثم فبن "من يقرأ كتاب الله – تبارك وتعالى – يجد أن القصة تتكرر فيه في مواطن عدة ، ويتجاوز الأمر إيراد القصة وتكرار ذلك إلى :

* الامتنان على النبي صلى الله عليه وسلم بأن أنزل إليه أحسن القصص: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف : ٣]

* الإخبار بأن القصص سبب لتثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ... ﴾ [هود : ١٢٠]

* الأمر بقص القصص: ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف : ١٧٦)

* الأمر بالاعتبار بما قص اهلل في كتابه: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ... ﴾ (يوسف: ١١١).

ولقد اعتنى صلى الله عليه وسلم بشأن القصص، فحفظت لنا دواوين السنة طائفة من قصصه صلى اهلل عليه وسلم عليهم من قصص الأمم الماضية وأخبارهم.

ولم تكن قصص القرآن أو السنة قاصرة على أنباء الصالحين وأخبارهم، بل شملت مع ذلك قصص المعرضين والفجار للاعتبار بما أصابهم.

كل ذلك يؤكد أهمية القصة ودورها التربوي الدعوي مما يجدر بالدعاة أن يعتنوا بها ويستخدموها في دعوتهم وخطابهم للناس.

إنها تحمل عنصر التشويق والإثارة ، ويُقبل عليها المستمع والقارة بعناية وإنصات ، وهي كذلك تقدم البرهان على تأهل المعاني المجردة إلى التطبيق على أرك الواقع ، وتبرز النموذج والقدوة الصالحة، وتزيد المرء إيماناً بقدرة اهلل تبارك وتعالى وساثر صفاته.

وتبدو أهمية ذلك بشكل أكبر في تربية الناشجة وخطابهم ؛ إذ يعاني شباب المسلمين اليوم وفتياتهم من غياب القدوة الصالحة ، ومن بروز النماذج والقدوات السيئة والإعلاء من شأنها وتبجيلها لدى الناس(١).

(١) القصة وسيلة دعوية ، مقال للشيخ الدكتور محمد الدويش، من الشبكة العنكبوتية.

ضوابط استخدام القصة فى الدعوة:

ومع أهمية القصة وعلو شأنها إلا أنه ينبغي أن يراعى في ذلك أمور عدة، منها:

* أن تُعرَض وتُستخدَم في الخطاب بالقدر المعقول ؛ فلا تكون هي اللغة الوحيدة في الخطاب ، أو تكون على حساب غيرها.
* الحذر من القصص الواهية والأخبار التي لا زمام لها ؛ إذ إن النفوط كثيراً ما تتعلق بالغرائب وتجنق إليها ، والقليل منها هو الذي يثبت عند التحقيق والنقد العلمي.
* أن تأخذ أخبار النبي صلى الله عليه و سلم وقصصه، وأخبار الرعيل الأول من سلف الأمة مكانها الطبيعي، وألا تطغى أخبار من بعدهم من المتأخرين ممن تعرف منهم وتنكر.
* أن البشر مهما علا شأنهم وارتفع قدرهم ، ومهما بلغوا المنازل العالية من الصلاح والتقى فلن تكون أعمالهم حجة مطلقة ، بل لا بد من عرضها على هدي النبي صلى الله عليه و سلم ؛ كما يروي بعنهم في مقام الصبر أن شيخاً قام يرقص على قبر ابنه حين توفي رضًى بقدر الله على حد رغمه وحير من هدى النبى صلى الله عليه وسلم الذى تدمع عينه ويحزن ، ولا يعون إلا ما يرضى ربه ، وهديه صلى الله عليه وسلم القولى والعملى فى النوم والقيام خير مما يروى عن بعضهم أنه صلى الفجر بوضوء العشاء كذا وكذا من السنوات ، وهديه فى تلاوة القرآن خير مما يروى عن بعضهم أنه يختم القرآن كل ليلة ، مع التماسنا العذر لمن كان له اجتهاد من سلف الأمة في ذلك(١).

(١) المصدر نفسه

فالقصة وسيلة وذخر عظيمان للداعية إلى الله إن أحسن استغلالها، والاعتراف منها كان لها أعظم الأثر في نجاف دعوته بما لا يمكن مقارنته بنتائج غيرها من الوسائل.

الخصائص (الذاتية والفنية) للقصة القرآنية (تطبيقا علي سورة الذاريات)

أولاً: الخصائص الذاتية: مفهوم القصة القرآنية ومصادرها

١- وحى الله تبارك وتعالى، لذا نجدها قصة هادفة ، فهى ذات هدف دينى أخلاقى لا ينفصل عن أهداف العقيدة والشريعة ، غير أنها تجمع إلى سمو الهدف رقى الشكل الفنى؟

٢- المصدر الذى تستقى منه أحداث وشخصيات القصة القرآنية هو الكون والتاريخ ، غير أن القصة القرآنية حق لا زيف فيه ، ولا مدخل فى أحداثها للخيال الفنى ولا للخرافات والأساطير التى ادعى بعض المستشرقين والمستغربين دخولها فيها ، ولا للرمزية التى حاول بعضهم – ظلماً وعدواناً – حمل قصص القرآن عليها.

فالحقائق التى ترد فى القصة القرآنية عن الكون وعن طبائع النفس البشرية عموماً ، وعن قصص أقوام وأشخاص بأعيانهم هى كلها حقائق ثابته علمياً وتاريخياً ، وإن لم تقصد القصة القرآنية إلى التاريخ المجرد بل اتخذت من حقائق التاريخ مجالاً للموعظة ، والإعتبار ، والتأسى ودروساً واقعية يتأملها المتلقى ويتعلم منها كما تبين معنا فى عرض أهداف القصة القرآنية[١].

ثانياً: الخصائص الفنية للقصة القرآنية:

١- تنوع طريقة العرض: فالقرآن الكريم لا يجرى فى أسلوبه على نمط واحد مخصوص فى قصصه كلها ، بل تتنوع طرائقه تبعاً لتنوع الأغراض ،

(١)الجواهر الحسان فى قصص القرآن د/ محمد الشنواني ص ٢٥

وتتنوع الوسائل البيانية تبعاً لتنوع الطرائق ، فبعض المشاهد يقوم على استحضار الأحداث دون تدخل بالرواية. والأقتصار على التنبيه على عنوان المشهد او موضوعه ثم تظهر الأحداث بصورة مباشرة.

من قصة ضيف سيدنا ابراهيم عليه السلام فى سورة الذاريات:

نسب إبراهيم عليه السلام:-

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله فى كتابه قصص الأنبياء

هو إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساردغ بن راعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفشخذ بن سام بن نوح عليه السلام (١)...

ويعقب الأستاذ/ عبدالوهاب النجار رحمه الله فى مؤلفه .. قصص الأنبياء .. بقوله

هذا هو نسبه الموجود فى التوراة والتواريخ (٢).

وحكى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة إبراهيم الخليل من تاريخه عن أسحق بن بشر الكاهلى صاحب كتاب المبتدأ.

إن اسم أم إبراهيم "أميلة"

وقال الكلبى اسمها – بونا بنت كربنا بن كرثى من بنى أرفخشذ بن سام بن نوح (٣).

ومن مواقف إبراهيم عليه السلام – أنه رأى ثلاثة رجال فى البداية فاستقبلهم وكان إبراهيم يحب قرى الأضياف. فمالوا إليه فصنع لهم طعاماً وعمد إلى عجل سمين فذبحه وسواه فى النار وجاء به حنيذا قد أثرت فيه النار وجعلت لونه الحمرة. وقربه إليهم فلم تمتد إلى طعامه أيديهم فارتاب

(١) يراجع – قصص الأنبياء – للحفاظ ابن كثير جـ ١ ص ٧٣ ط المكتبة التوفيقية.

(٢) يراجع – قصص الأنبياء – للأستاذ/ عبدالوهاب النجار ص ٩٣ ط مكتبة التراث.

(٣) أى ما قرى به الضيف – يراجع – مختار الصحاح للزارى ص ٥٣٣ ط دار التراث العربى للطباعة والنشر.

فى شأنهم وأوجس منهم خيفة فخاطبهم فى هذا الشأن فعلم أنهم ملائكة. أرسلهم الله للإنتقام. أرسلهم إلى قوم سادوم وعاموره وهم المعبر عنهم بقوم لوط. وكانت سادوم وعامورة فى مكان البحر الميت. المعروف اليوم ببحر لوط ويقال أنه ظهرت بشاطئه بعض أثارها(١).. وكان عليه السلام رجلاً رقيق القلب .. لما علم أن قوم لوط هالكون. وأن الملائكة قادمون لإنفاذ الأمر فيهم أخذته الشفقة عليهم. فأخذ يجادل فى شأن قوم "لوط" ويستنزل الرحمة بهم. رجاء أن ينظر الله إليهم نظر رحمة.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ (٢)

يقول الأستاذ/ عبدالوهاب النجار فى كتابه ما نصه:

وهذه المجادلة عنهم لم تفصل فى القرآن الكريم .. ويعلق على ذلك فى الهامش بقوله. ولكنها فُصلت فى سفر التكوين ص١٨ هكذا ...

(٢٢) وانصرف الرجال (الملائكة) من هناك وذهبوا نحو سدوم ، أما إبراهيم فكان لم يزل قائماً أمام الرب.

(٢٣) فتقدم إبراهيم. وقال أفتهلك البار مع الأثيم.

(٢٤) عسى أن يكون خمسون باراً فى المدينة. أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بارا الذين فيه.

(٢٥) حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر. أن تميت البار مع الأثيم فيكون البار كأثيم حاشا لك – أديان كل الأديان لا يصنع عدلاً.

(٢٦) فقال الرب. إن وجدت فى سدوم خمسين باراً فى المدينة فأنى أصفح عن المكان كله من أجلهم.

(١) يراجع – قصص الأنبياء للأستاذ/ عبدالوهاب النجار – ص ١٢٥ – ١٢٦

(٢)الآيات (٧٤ – ٧٥) من سورة هود

(٢٧) فأجاب إبراهيم – وقال إنى شرعت أكلم المولى وأنا تراب ورماد.

(٢٨) ربما نقس الخمسون باراً خمسة أتهلك كل المدينة بالخمسة.

فقال لا أهلك إن وجدت هناك خمسة أربعين.

(٢٩) فعاد يكلمه أيضاً وقال عسى أن يوجد هناك أربعون فقال لا أفعل من أجل الأربعين.

(٣٠) فقال لا يسخط المولى فأتكلم عسى أن يوجد هناك ثلاثون فقال لا أفعل إن وجدت هناك ثلاثين.

(٣١) فقال إنى شرعت أكلم المولى – عسى أن يوجد هناك عشرون فقال لا أهلك من أجل العشرين.

(٣٢) فقال لا يسخط المولى فأتكلم هذه المرة فقط عسى أن يوجد هناك عشرة فقال لا أهلك من أجل العشرة.

(٣٣) وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم إلى مكانه[١].

وفى قصة ضيف إبراهيم تسلية لقلب النبى الكريم صلى الله عليه وسلم ببيان أن غيره من الأنبياء عليهم السلام كان مثله .... وأختار تعالى إبراهيم لكونه شيخ المرسلين ، وكون النبى ﷺ على سنته فى بعض الأشياء ... وفيها إنذار لقومه بما جرى من الضيف ومن إنزال حجارة على المذنبين المضلين[٢] .

قال تعالى :﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٣].

كلمة حديث يعنى الخبر المتداول .. وفيه حقيقة أو حكمة. لذلك يتداولة الناس ويهتمون به "ضيف إبراهيم" جاءت كلمة ضيف مفردة مع

(١) يراجع – قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار هامش ص ١٢٦ – ١٢٧

(٢) يراجع – مفاتيح الغيب للرازى ج ، ١ ص ٦٦٦

(٣) الآية (٢٤) من سورة الذاريات

أنهم كانوا جمعاً من الملائكة. فلم يقل ضيوف ولا أضياف وإنما اختار اللفظ المفرد فقال (ضيف) قبل لأن ضيف تطلق على المفرد والمثنى والجمع ممن. استدعيته إلى بيتك أو جاءك فصار ضيفاً عليك.

والمستضيف ينبغى أن يعامل الأضياف جميعاً معاملة واحدة ويستقبلهم بوجه واحد ولا يفضل أحداً على أحد ولا يجتفى بأحد دون الأخر فكأنهم عنده شخص واحد لا يميز أحداً لا فى مجلسه ولا فى نظره إليهم لذلك عبر القرآن عنهم بصيغة فهم فى حكم الرجل الواحد[١].

قال ابن عباس – يريد جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام[٢] – وسمو مكرمين لكرامتهم عند رب العالمين. والاستفهام هنا للتشويق. ولتفخيم شأن تلك القصة. كقول القائل هل بلغك الخبر الفلانى؟ يريد تشويقه إلى استماعه – والمعنى هل وصل إلى سمعك يا محمد خبر ضيوف إبراهيم المعظمين وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام. وزاد عمران بن حصين ورفائيل عليهم الصلاة والسلام وقال محمد بن كعب كان جبريل ومعه تسعة وقال عطاء وجماعة كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل ومعهما ملك أخر. قال ابن عباس سماهم مكرمين ؛ لأنهم غير مذعورين وقال مجاهد سماهم مكرمين لخدمة إبراهيم إياهم فيها [٣].

قال تعالى: { إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا (٢٥) } [٤]

أى حين دخلوا على نبى الله إبراهيم عليه السلام ... فقالوا نسلم عليك سلاماً

(١) يراجع – تفسير الشعراوى – جـ ٤ – صـ ٤٤٥٨٤
(٢) يراجع – الجامع لأحكام القرآن – للقرطبى – جـ ٩ ص ٣٠
(٣) نفس المرجع السابق
(٤) الآية (٢٥) من سورة الذاريات

– وفى سورة "هود" قال تعالى﴿ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ [١]

أى سلموا عليه سلاما﴿ قَالَ سَلَٰمٌ (٦٩) ﴾ [٢] أى قال لهم إبراهيم عليه السلام – سلام عليكم.

قال المفسرون: رد عليهم التحية بأحسن من تحيتهم لأنه جاء بها جملة اسمية وهى تدل على الثبات والاستمرار. يقول الإمام النووى رحمه الله ... يستحب أن يقول المبتدئ بالسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيأتى بضمير الجمع وإن كان المسلم عليه واحداً ... ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته – فيأتى بواو العطف فى قوله وعليكم [٣]... وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال "يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير [٤] وعنه أيضاً قال رسول الله ﷺ يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير [٥]

قال تعالى﴿ قَالَ سَلَٰمٌ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [٦]

أى قال عليكم سلام أنتم قوم غرباء لا نعرفكم فمن أنتم؟

يقول الإمام القرطبى رحمه الله وذلك عند تفسيره لهذه الأية:

أى أنتم قوم منكرون أى غرباء لا نعرفكم – وقيل لأنه رآهم على غير صورة البشر وعلى غير صورة الملائكة الذين كان يعرفهم فنكرهم ....

(١) الأية (٦٩) من سورة هود

(٢) الأية (٦٩) من سورة هود

(٣) يراجع رياض الصالحين ص ٢٢٢ – أخرجه الإمام البخارى

(٤) اخرجه الامام البخارى فى كتاب الاستئذان باب تسليم الماشى لا على القاعد ج٤ ص ٨٦ – صحيح البخارى بشرح السند ، ط دار الحديث

(٥) اخرجه الأمام البخارى فى كتاب الاستئذان باب يسلم على الكبير ج٤ ص ٨٧ – صحيح البخارى بشرح السندى ط/ دار الحديث

(٦) الأية (٢٥) من سورة الذاريات

فقال قوم منكرون وقيل انكرهم ؛ لأنهم دخلو عليه من غير استئذان وقال أبو العالية : أنكر سلامهم فى ذلك الزمان وفى تلك الأرض وقيل خالفهم يقال "أنكرته إذا خفته [١]

ويقول الإمام ابن كثير فى تفسيره .. وإنما أنكرهم لأنهم قدموا عليه فى صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا قال قوم منكرون[٢].

وقال صاحب البحر المحيط .. والذى يناسب حال إبراهيم أنه لا يخاطبهم بذلك إذا فيه من عدم الأنس ما لا يخفى وإنما قال ذلك فى نفسه او لمن كان معه من أتباعه وغلمانه بحيث لا يسمع ذلك الأضياف[٣].

قال تعالى: { فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ (٢٦) } [٤]

قال الزجاج: عدل إلى أهله [٥]– أى فمضى إليهم فى سرعة وخفية عن ضيفة لأن من أدب المضيف أن يبادر بإحضار الضيافة .. يقول الإمام القرطبى رحمه الله إن إبراهيم أنطلق إلى منزله كالمستخفى من ضيفه لئلا يظهروا على ما يريد أن يتخذه لهم من الطعام[٦]

ويقول الشيخ عبد الوهاب النجار رحمه الله: إن إبراهيم كان مضيفاً ولا يرضى لضيوفه – بما يقيم ودهم بل كان يكثر لهم من القرى[٧]لأن ثلاثة أضياف لا يقدرون على إلتهام عجل سمين – بل هو يفضل عنهم وكان

(١) يراجع – رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ...
(٢) يراجع – تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ٢٣
(٣) يراجع – البحر المحيط لأبى حيان ج٨٩ صـ ١٣٦
(٤) يراجع – الجامع لأحكام القرآن – للقرطبى جـ ٩ ص ٣٣
(٥) يراجع – الجامع لأحكام القرآن – للقرطبى جـ ٩ ص ٣٣
(٦) يراجع – اى ما قرى به الضيف – مختار الصحاح للرازى ص ٥٣٣
(٧) يراجع – قصص الأنبياء – للشيخ/ عبدالوهاب النجار ص ١٥٢ ط دار التراث

يكفيهم عناق صغير أو بعض الفطير يقدم إليهم ولكنه أظهر حفاوة هونت عليه أن يبذل من ماله كل كريم ولا يفعل ذلك إلا الكريم [١].

(فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ) [٢] وفى سورة هود قال تعالى: { فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩)} [٣]

قال قتادة كان عامة مال إبراهيم البقر واختاره لهم سميناً زيادة فى إكرامهم وقيل العجل فى بعض اللغات – الشاة ذكره القشرى[٤]

وفى مختار الصحاح – العجل ولد البقرة – والعجول مثله والجمع العجاجيل والأنثى عجله [٥]

يقول الإمام الزمخشرى رحمه الله والعجل ولد البقرة ويسمى "الحسيل" – و "الحنيذ" المشوى بالحجارة – المحماة فى أخدود وقبل الذى يقطر دسمه ويدل عليه { بِعِجْلٍ سَمِينٍ } [٦]

قال تعالى: { قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) } [٧]

فأدناه منهم ووضعه بين أيديهم فلم يأكلوا فقال لهم فى تلطف وبشاشة ألا تأكلون هذا الطعام وفى هذه الأية الكريمة تلطف العبارة وعرض حسن ... وقد تضمنت الآية آداب الضيافة فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة ولم يمتن عليهم أولاً فقال نأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهى عجل فتى سمين مشوى فقربه

(١) الآية (٢٦) من سورة الذاريات
(٢) الآية (٦٩) من سورة هود
(٣) يراجع الجامح لأحكام القرآن جـ ٩ ص ٤٠٧٤
(٤) يراجع – مختار الصحاح – للرازى ص ٤١٥ ط دار التراث
(٥) يراجع الكشاف للزمخشرى ج ٢ ص ٢٠٩
(٦) الآية (٢٧) من سورة الذاريات
(٧) يراجع – تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ص ٢٣٥

إليهم ولم يضعه وقال لهم اقتربوا بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة الجزم .

قال تعالى: { فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً (٢٨) } [١]

أى أحس منهم الخوف والفزع قال قتادة كان العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم ظنوا أنه لم يجئ بخير وأنه جاء يحدث بشر [٢].

يقول الإمام القرطبى أى أحس منهم فى نفسه خوفاً .. وقبل: أضمر لما لم يتحرموا بطعامه – ومن أخلاق العرب أن من تحرم بطعام إنسان أمنه – وقال عمرو بن دينار قالت الملائكة لا نأكل إلا بالثمن قال كلو وأدوا ثمنه قالوا وما ثمنه قال: تسمون الله إذا أكلتم وتحمدونه إذا فرغتم فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا لهذا اتخذك الله خليلاً[٣].

قال تعالى: { قَالُوا لَا تَخَفْ} [٤] [٥]

أى قالوا له لا تخف إنا رسل ربك

قال تعالى: { وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ } [٦]

والبشرى التى بشر بها إبراهيم عليه السلام هى أن الملائكة قالوا له إنا جئنا لنبشرك بغلام عليم فراجعهم قائلاً.

وصار لا يرجى لمن كان فى مثلى أن يلد وامرأتى عاقر وقد بلغت سن اليأس .. وكانت سارة تسمع كلام الملائكة لإبراهيم فضحكت من هذه البشرى العجيبة وقالت كيف قال تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا

(١) الآية (٢٨) من سورة الذاريات
(٢) يراجع: جامع البيان للطبرى جـ ١٢ صـ ٧١
(٣) يراجع – الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ٩ صـ ٣٣
(٤) الآية (٢٨) من سورة الذاريات
(٥) الآية (٢٨) من سورة الذاريات
(٦) الآية (٢٨) من سورة الذاريات

بَعْلِي شَيْخًا ... ﴾ [١] وأبدت غاية الإستغراب فأحال الملائكة الأمر على قدرة الله الذى لا يعجزه شئ وأقنوا وقتاً لهذا الأمر. [٢]

يقول صاحب البحر ... وفيه تبشير بحياته حتى يكون من العلماء[٣] ولكن من هو المبشر به؟ والجمهور على أن المبشر به هو إسحاق.

{ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ (١١٢) } [٤]

وهذا نص[٥] ... قال ابن عباس بشر بنبوته حين ولد وحين نبئ[٦].

والجمهور على أن المبشر به هو "إسحاق"

قال تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ [٧][٨]

قال تعالى: {فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) } [٩]

أى أقبلت سارة نحوهم حين سمعت البشارة فى صيحة وضجة .. قال المفسرون لما سمعت بالبشارة وكانت فى زاوية من زوايا البيت جاءت نحوهم فى صيحة عظيمة تريد أن تستفسر الخبر[١٠]. فعن سفيان الثورى قال: لما سمعت سارة البشارة صحكت وجهها أى ضربت يدها على وجهها

(١) الآية (٧٢) من سورة هود
(٢) يراجع – قصص الأنبياء – للشيخ/ عبدالوهاب النجار ص ١٢٧
(٣) يراجع – البحر المحيط لأبى حيان ج٨ صـ ١٣٩
(٤) الأية (١١٢) من سورة الصافات
(٥)يراجع – الجامع لأحكام القرآن – للقرطبى – جـ٩ – صـ ٣٣
(٦)مختصر تفسير ابن كثير – جـ ٩ – صـ ١٨٩
(٧)الأية (٧١) من سورة هود
(٨)يراجع – الجامع لأحكام القرآن – للقرطبى – جـ٩ – صـ٣١
(٩) الآية (٢٩) من سورة الذاريات
(١٠) يراجع – أيسر التفاسير – للصابونى – جـ ٤ – ص ٢٥٤

على عادة النسوان عند التعجب. وقال ابن عباس: صحكت وجهها لطمته. وأصل الصك الضرب. صحكه أى ضربه[١] .

وقال أيضاً لطمت وجهها أى تعجبا كما تتعجب النساء من الأمر العجيب [٢].

قال تعالى: { وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) } [٣]

أى قالت أنا عجوز عقيم لا ألد وفى هود قال تعالى: { قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ (٧٢) [٤] } وكان بين البشارة والولادة سنه ، جاء فى الجلالين كان عمرها تسعة وتسعين سنة وعمر إبراهيم مائة وعشرين[٥]

قال مجاهد كانت يومئذ ابنة تسع وتسعين سنة وإبراهيم ابن مائة وعشرين سنه[٦].

قال تعالى:{ قَالُوا كَذَٰلِكِ[٧] } : أى كما قلنا لك وأخبرناك.

قال تعالى: { قَالَ رَبُّكِ[٨] } :هكذا حكم وقضى ربك من الأزل فلا تعجبى ولا تشكى فيه[٩].

قال تعالى: { إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠) [١٠] } : أى الحكيم فى صنعه . العليم بمصالح خلقه[١١] .

(١) يراجع – الجامع لأحكام القرآن – للقرطبى – جـ٩ – صـ ٣١
(٢) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لأبن كثير – جـ ٤ – صـ ٢٣٦
(٣) الآية (٢٩) من سورة الذاريات
(٤) الآية (٧٢) من سورة هود
(٥) يراجع – تفسير الجلالين – جـ ٤ – ص ١٢٦
(٦) يراجع – تفسير البيضاوى جـ ٤ صـ ١٧٤
(٧) الآية (٣٠) من سورة الذاريات
(٨) الآية (٣٠) من سورة الذاريات
(٩) يراجع – أيسر التفاسير – جـ٤ – ص ٢٥٤
(١٠) الآية (٣٠) من سورة الذاريات
(١١) يراجع – الجامع لأحكام القرآن – للقرطبى – جـ ٩ – صـ ٣٢

قال تعالى: { قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) [١] } : أى ما شأنكم الخطير الذى لأجله أرسلتم أيها الملائكة الأبرار ...

يقول الإمام البيضاوى رحمه الله لما علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون مجتمعين إلا لأمر عظيم سأل عنه[٢].

ويقول الإمام القرطبى رحمه الله وذلك عند تفسيره لهذه الآية: لما تيقن إبراهيم عليه السلام أنهم ملائكة بإحياء العجل والبشارة قال لهم { فَمَا خَطْبُكُمْ } أى ما شأنكم وقصتكم أيها المرسلون.

قال تعالى: { قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) [٣] }يريد قوم لوط[٤] أى قالوا إن الله أرسلنا لإهلاك قوم لوط الذين ارتكبوا أفحش الجرائم (اللواط) وكانوا ذوى جرائم متعددة وهى كبار المعاصى من كفر وعصيان[٥].

قال تعالى: { لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) } [٦]

أى لنهلكم بحجارة من طين متحجر من نار وهو السجيل قال تعالى فى سورة "هود" { وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) [٧] } ،

- السجيل والسجين: الشديد من الحجر قاله أبو عبيده ..

وقال الفراء طين طبخ حتى صار كالأجر ...

وفى مختار الصحاح: .. هى حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها أسماء القوم[٨]

(١) الآية (٣١) من سورة الذاريات
(٢) يراجع – تفسير البيضاوى جـ ٤ ص ١٦٧
(٣) الآية (٣٢) من سورة الذاريات
(٤) يراجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ٩ ص ٣٢
(٥) يراجع – صفوة التفاسير جـ ٤ ص ٢٥٤
(٦) الآية (٣٣) من سورة الذاريات
(٧) الآية (٨٢) من سورة (هود)
(٨) يراجع – مختار الصحاح – للرازى ص ٢٨٧

وقال أبو حيان فى البحر ... والسجيل طين يطبخ كما يطبخ الأجر حتى يصبح فى صلابة الحجارة [١]..

ويقول الإمام القرطبى فى جامعه:-

كانت مطبوخة طبخ الأجر قاله ابن زيد ... وقيل الحجارة التى نراها وأصلها طين وإنما تصير حجارة بإحراق الشمس إياها على مر الدهور وإنما قال "من طين" ليعلم أنها ليست حجارة الماء التى هى البرد[٢].

قال تعالى: { مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ (٣٤) } [٣]

أى معلمة قيل كانت مخططة بسواد وبياض وقيل بسواد وحمرة وقيل مسومة أى معروفة بأنها حجارة العذاب وقيل على حجر اسم من يهلك به وقيل عليها أمثال الخواتيم وقد أعدها الله عز وجل لرجم من قضى برجمه[٤].

قال تعالى: { لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) }[٥]

أى المجاوزين للحد فى الفجور[٦]

قال الصاوى فى حاشيته .. كان فى قرى لوط ستمائة ألف فأدخل جبريل جناحه تحت الأرض فاقتلع قراعم ورفعها حتى سمع أهل السماء أصواتهم ثم قبلها ثم أرسل الحجارة على من كان خارجا عنها[٧].

قال تعالى: { فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) } [٨]

(١) يراجع – البحر المحيط لإبن حيان جـ ٨ ص ١٤٠
(٢) يراجع – الجامع لأحكام القران – للقرطبى جـ٩ ص ٣٣
(٣) الآية (٣٤) من سورة الذاريات
(٤) يراجع – الجامع لأحكام القران – للقرطبى جـ٩ ص ٣٣
(٥) الآية (٣٤) من سورة الذاريات
(٦) يراجع: صفوة التفاسير ج٤ ص ٢٥٥
(٧) يراجع: حاشية الصوى جـ ٤ صـ ١٤٦.
(٨) الآية (٣٥) من سورة الذاريات

أى لما أردنا إهلاك قوم لوط أخرجنا من كان فى قومه من المؤمنين لئلا يهلك المؤمنون[١]وذلك فى قوله تعالى { فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ (٨١) } [٢]

أى أخرج بهم بطائفة من الليل ..

قال الطبرى فى تفسيره أى أخرج من بين أظهرهم أنت وأهلك ببقية من الليل[٣].

قال تعالى: { فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) }[٤]

يعنى لوطاً وبنتيه وفيه إضمار أى فما وجدنا فيها غير أهل بيت وقد يقال بيت شريف يراد به الأهل وقوله فيها كتاية عن القرية ولم يتقدم لها ذكر[٥]

قال مجاهد هم لوط وابنتاه – والغرض من الآية: بيان قلة المؤمنين الناجين من العذاب وكثرة الكافرين المستحقين للهلاك – وقال السيوطى وصفوه بالإيمان والإسلام أى هم مصدقون بقلوبهم عاملون بجوارحهم الطاعات [٦]

وقيل المؤمنون والمسلمون ها هنا سواء فجنس اللفظ بألا يتكرر – كما قال تعالى: { قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ (٨٦) } [٧]

وقيل: الإيمان تصديق القلب والإسلام الانقياد بالظاهر فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً فسماهم فى الآية الأولى مؤمنين ؛ لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم .. يدل على الفرق بين الإيمان والإسلام [٨]

(١) يراجع – الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ص ٩ ص ٣٢
(٢) الآية (٨١) من سورة هود
(٣) يراجع: جامع البيان للطبرى جـ١٢ صـ ٨٩
(٤) الآية (٣٦) من سورة الذاريات
(٥) يراجع – الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ص ٩ ص٣٢
(٦) تفسير الجلالين جـ٤ صـ ٢٠٥
(٧) الآية (٨٦) من سورة يوسف
(٨) يراجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣٢/٩

حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال (بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى ﷺ وأسند ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الإسلام فقال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً قال: صدقت فجبنا له يسأله ويصدقه ، قال: فأخبرنى عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر وتؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره قال: صدقت. قال: فأخبرنى عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فأن لم تكن تراه فإنه يراك قال: فأخبرنى عن الساعة قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال: فأخبرنى عن أمارتها قال: أن تلد الأمة ربتها وترى الحفاة العراه العالة رعاة الشاه يتطاولون فى البنيان ثم انطلق فلبث مليا ثم قال يا عمر: أتدرى من السائل قلت: الله ورسوله أعلم قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) [١].

قال تعالى: { وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧) } [٢]

أى جعلناها عبرة بما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل وجعلنا محلتهم بحيرة منتنة خبيثة ففى ذلك عبرة للمؤمنين الذين يخافون العذاب الأليم[٣]– قال تعالى فى سورة العنكبوت

قال تعالى: { وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)} [٤]

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه – فى كتاب الإيمان – باب أمارات الساعة جـ ١ – صـ ١٥٧ : ١٦٠ – ط مكتبة الدعوة الإسلامية وشباب الدعوة

(٢) الآية (٣٧) من سورة الذاريات

(٣) يراجع – تفسير القرآن لابن كثير جـ ٤ – صـ ٢٣٦

(٤) الآية (٢٥) من سورة العنكبوت

أى ولقد تركنا من هذه القرية علامة بينة واضحة هى آثار منازلهم الخربة ... قال القرطبى: الآية المتروكة نفس القرية الخربة ... { لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} أى لقوم يتفكرون ويتدبرون ويستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار(١).

****

٢-إقامة العرض على التصوير: أى أن القصة القرآنية تقيم العرض القصصى على الأسلوب التصويرى ، فالقرآن يتخير من ألوان التصوير لكل قصة ما يتناسب معها فى موطنها ، فإن كان للأشخاص دور رئيس فى تحريك الحدث القصصى رأيته يبرز من صفاتهم العقلية أو النفسية أو العاطفية أو الجسمية ما تتطلبه أدوارهم فى القصة.

قصة نبى الله موسى – عليه السلام –

بعد أنا حدثتنا الآيات السابقة عن طرف من قصة "سيدنا إبراهيم عليه السلام" تحدثنا الآن عن "سيدنا موسى عليه السلام" لماذا؟ لأن القرآن الكريم كثيراً ما يأتى ب "إبراهيم وموسى" فى قرن واحد ما بينهما من تشابه فى مسيرة الدعوة إلى الله عز وجل ...

قال تعالى: { إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩) }(٢)

وقال تعالى: { أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧)}(٣) ، فالقرأن الكريم يربط بينهما ؛ لأن سيدنا إبراهيم عليه السلام أول ما تعرض له فى أمر الدعوة تعرض للرجل الذى حاجه ربه. ويبدو من سياق القصة أنه ادعى الألوهية بدليل قوله { أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ (٢٥٨)}(٤)

(١) يراجع – الجامع لأحكام القرآن – للقرطبى – جـ ٨ – ص ٣٢
(٢) الأيتان (١٨-١٩) من سورة الأعلى
(٣) الأيتان (٣٦-٣٧) من سورة النجم
(٤) الأية (٢٥٨) من سورة البقرة

... وبعد ذلك كان لإبراهيم عليه السلام مواقف فى إظهار آيات الله عز وجل للناس وهو أول من علمهم أن ينظروا فى الآيات الكونية ثم كانت له مواقف مع عبدة الأصنام خاصة مع أبيه آزر ثم جاءت أحداث إلقائه فى النار ثم رزق الولد وابتلى بالأمر بذبحه ثم جاءت قصة بناء البيت إلى أخر أحداث قصته ، لذلك قال عز وجل فى شأنه

قال تعالى: { وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ (١٢٤)} [١]

أى أداها كاملة لا بالمنطق العادى فى الأشياء إنما بمنطق الإجادة والإحسان لذلك مدحه ربه:

قال تعالى: { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) } [٢] أى يجمع من خصال الخير ما لا يتوفر إلا فى أمة كاملة.

كذلك مر سيدنا موسى عليه السلام بمواقف وابتلاءات مشابهة فى رحلة دعوته لفرعون الذى ادعى الألوهية وقال لقومه قال تعالى: { مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي (٣٨) ..} [٣]

الواو {وَفِي مُوسَىٰ} [٤] الواو فى (وفى) عاطفة فالمعنى فى موسى آية من آيات الله عز وجل معطوفة على قوله { وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠)} [٥] كذلك فى موسى عليه السلام آيات قوله تعالى: { وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٣٨) }[٦]

(١) الآية (١٢٤) من سورة البقرة
(٢) الآية (١٢٠) من سورة النحل
(٣) الآية (٣٨) من سورة القصص
(٤) الآية (٣٨) من سورة الذاريات
(٥) الآية (٢٠) من سورة الذاريات
(٦) الآية (٣٨) من سورة الذاريات

أى بحجة واضحة بينة ، يقول الإمام القرطبى رحمه الله: أى بحجة بينه وهى العصا ، وقيل بالمعجزات من العصا وغيرها[١]، قوله تعالى: { بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ } [٢]

يقول الإمام الرازى رحمه الله والسلطان القوة بالحجة والبرهان[٣]، ويقول الشيخ الشعراوى رحمه الله: السلطان قد يكون قوة وقهر تخضع المقابل ... أو سلطانه برهان وحجة يقنعه ، سلطان القهر يقهر ... وسلطان الحجة يقنع العقل ويستميل القلب ، وموسى عليه السلام لم يكن يملك إلا حجة الإقناع ، ولا قوة له على فرعون يقهره بها فأعطاه الله سلطاناً مبيناً يقنع به فرعون وهو الآيات والمعجزات التى صاحبت دعوته[٤].

قال تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ (١٠١) } [٥] :

أى لقد أعطينا موسى عليه السلام تسع آيات واضحات للدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند ربه ، قال الجزائى فى تفسيره – ما نصه: هى تسع آيات: العصا واليد والسنون المجدبة والدم والطوفان والجراد والقمل

الآية الأولى: (العصا)

قال تعالى: { فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) } [٦]

أى حية عظيمة تهتز أما فرعون وملئه كأنها جان[٧]، عن ابن عباس قال "فألقى عصاه" فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون فلما رآها قاصدة إليه اقتحم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل ،

(١) يراجع – الجامع لأحكام القرآن – للقرطبى – جـ ٩ – صـ ٣٣
(٢) الآية (٣٨) من سورة الذاريات
(٣) يراجع – مفاتيح الغيب – للرازى – جـ ٢٧ – صـ ٥٢٥
(٤) يراجع – تفسير الشعروى – جـ٢٣ – صـ١٤٥٩٥ وما بعدها
(٥) الآية (١٠١) من سورة الإسراء
(٦) الآية (١٠٧) من سورة الأعراف
(٧) يراجع – أيسر التفاسير للجزائى – جـ ٢ – صـ ٢١٥

وقال قتادة: تحولت إلى حية عظيمة مثل المدينة ، وقال السعدى في قوله { فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) } [١]

الثعبان الذكر من الحيات فاتحة فاها واضعة لحيها الأسفل فى الأرض والأخر على سور القصر ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه فلما رآها ذعر منها ووثب وأحدث ولم يكن يحدث قبل ذلك وصاح يا موسى خذها وأنا أؤمن بربك وأرسل معك بنى إسرائيل فأخذها موسى عليه السلام فعادت عصا[٢].

●الآية الثانية: (اليد)

قال تعالى: { وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (١٠٨) } [٣]

أى لا أخرجها من جيبه وإذا هى بيضاء بياضا نورانيا عجيباً يغلب نورها نور الشمس ، قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضيئ ما بين السماء والأرض[٤]

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: أى أخرج يده من درعه بعد ما أدخلها فيها فإذا هى بيضاء تتلألأ كما

قال تعالى: { وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ (١٢) } [٥]

قال ابن عباس {مِنْ غَيْرِ سُوءٍ} يعنى من غير برص ، ثم أعادها إلى كمه فعادت إلى لونها الاول[٦].

(١) الآية (١٠٧) من سورة الأعراف
(٢) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – جـ ٢ – صـ ٢٣٦
(٣) الآية (١٠٨) من سورة الأعراف
(٤) يراجع – صفوة التفاسير – للصابونى – جـ ١– صـ ١٤٠
(٥) الآية (١٢) من سورة النمل
(٦) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – جـ ٢ – ص ٢٣٦

●الآية الثالثة: النقص

قال تعالى: { وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) } [١]

اللام موطئة لقسم محذوف .. أى والله لقد ابتلينا واختبرنا فرعون وأتباعه بالجدب والقحط { وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ } أى وابتليناهم بإذهاب الثمار من كثرة الآفات .. قال المفسرون. كانت النخلة لا تحمل إلا تمرة واحدة [٢] { لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} أى لعلهم يتعظون وترق قلوبهم فإن

الشدة تجلب الإنابة والخشية ورقة القلب[٣]، ثم ذكر المولى عز وجل عدة آيات مجملة فى هذه الآية الكريمة قال تعالى: { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (١٣٣) } [٤].

●الآية الرابعة: (الطوفان)

اختلفوا فى معناه – فقيل المطر أى أرسلنا عليهم المطر الشديد حتى عاموا فيه وكادوا يهلكون ، قال ابن عباس: الطوفان كثرة الأمطار المغرقة المتلفة للزروع والثمار ، وعن مجاهد: قال الطوفان الماء والطاعون – على كل حال وعن ابن عباس فى رواية أخرى هو كثرة الموت وكذا ، قال عطاء[٥]، وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ "الطوفان الموت".

(١) الآية (١٣٠) من سورة الأعراف
(٢) يراجع – جامع البيان للطبرى – جـ ١٣ – ص ٤٦
(٣) يراجع – صفوة التفاسير – جـ ١ – صـ ٤٦٧
(٤) الآية (١٣٣) من سورة الأعراف
(٥) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – جـ ٢ – صـ ٢٤٠

●الآية الخامسة: الجراد ...

أى أرسلنا عليهم كذلك الجراد ، فأكل زروعهم وثمارهم حتى أكل ثيابهم ، عن مجاهد قال كانت تأكل مسامير أبوابهم وتدع الخشب(١)، وروى أبو داود عن محمد بن الفرج عن محمد بن زبرقان الأهوازي

عن سليمان التميمى عن أبى عثمان عن سليمان قال سئل رسول الله ﷺ عن الجراد فقال (أكثر جنود الله لا أكله ولا أحرمه) (٢) وإنما تركه عليه السلام ؛ لأنه كان يعافه كما عافت نفسه الشريفة أكل الضبع وأذن فيه(٣)، فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: النبى ﷺ الضب لست آكله ولا أحرمه (٤)، وعن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما عن خالد بن الوليد أنه دخل مع رسول الله ﷺ بيت ميمونة فأتى بضب مجنوذ فأهوى إليه رسول الله ﷺ بيده فقال بعض النسوة أخبروا رسول الله ﷺ بما يريد أن يأكل ، فقالوا هو ضب يا رسول الله فرفع يده – فقلت أحرام هو يارسول الله؟ فقال لا ولكن لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافُهُ ، قال خالد فاجتررته فأكلته ورسول الله ﷺ – ينظر (٥).

●الآية السادسة: القمل

وهو السوس حتى نخر حبوبهم وتتبع ما تركه الجراد(٦)، قال ابن عباس: وهو السوس الذى يخرج من الحنطة وعنه أيضاً قال أنه الدبا وهو

(١) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – جـ ٢ – صـ ٢٤٠
(٢) أخرجه الإمام ابن ماجه فى سننه أبواب: الصيد – باب صيد الحيتان والجراد جـ٤ ، صـ ٣٧٣.
(٣) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – جـ٢ – صـ ٢٤٠.
(٤) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه فى كتاب الصيد والذبائح – باب الضب – جـ٣ – صـ ٢١٤
(٥) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه فى كتاب الصيد والذبائح – باب الضب – جـ٣ – صـ ٢١٤
(٦) يراجع – صفوة التفاسير – للصابونى – جـ ١ – صـ ٤٦٧

الجراد الصغار الذى لا أجنحة له وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة[١]، وقيل هو القمل المشهور كان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيمصه[٢]، وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم القمل البراغيث[٣].

●الآية السابعة: الضفادع

جمع ضفدعة .. حيوان يوجد فى المياه والمستنقعات[٤]وهذه الضفادع ملأت بيوتهم وطعامهم إذا تكلم أحدهم وثبت الضفادع إلى فمه [٥]،

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله:

فملأت البيوت والأطعمة والأنية فلا يكشف أحد ثوباً ولا طعاماً إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه [٦]، وصح النهى عن النبى ﷺ عن قتل الصرد والضفدع والنملة والهدد" من رواية أبى داود وأحمد وابن ماجه[٧] .

●الآية الثامنة: الدم

قد يكون دم رعاف أو نزيف أو تحول الماء ماء الشرب إلى دم فى أوانيهم وأفواههم[٨]

(١) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – جـ ٢ – صـ ٢٤١
(٢) يراجع – صفوة التفاسير – للصابونى– جـ ١– صـ ٤٦٧
(٣) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – جـ ٢ – صـ ٢٤١
(٤) يراجع – أيسر التفاسير – للجزائرى – جـ ٢ – صـ ٢٢٦
(٥) يراجع – صفوة التفاسير – للصابونى– جـ ١– صـ ٤٦٧
(٦) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – جـ ٢ – صـ ٢٤٢
(٧) أخرجه الإمام ابن ماجه فى سننه كتاب: الصيد ، باب ما ينهى ، عن قتله جـ ٢ ، صـ ١٠٧٤
(٨) يراجع – أيسر التفاسير – للجزائرى – جـ ٢ – صـ ٢٢٦

يقول الشيخ الصابونى رحمه الله:

أى صارت مياهم دما فما يستقون من بئر ولا نهر إلا وجدوه دما[١].

●الآية التاسعة: الطمس على أموال فرعون

قال تعالى: { وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨٩) } [٢]

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله:

هذه دعوة عظيمة دعا بها كليم الله على عدو الله فرعون غضباً لله عليه لتكبره عن إتباع الحق وصده عن سبيل الله ومساندته وعتوه وتمرده وأستمراره على الباطل ومكابرته الحق الواضح الجلى الحسى والمعنوى والبرهان القطعى[٣]

قال ابن عباس ومجاهد: أى أهلكها

وقال الضحاك وأبو العالية والربيع بن أنس جعلها الله حجارة منقوشة كهيئة ما كانت ، وقال قتادة: بلغنا أن زروعهم تحولت حجارة ، وهذه الدعوة كانت من موسى عليه السلام غضباً لله ولدينه على فرعون وملئه الذين تبين له أنهم لا خير فيهم ولا يجئ منهم شئ[٤] [1] ، كما دع نوع عليه السلام.

قال تعالى: { وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) }[٥]

(١) يراجع – صفوة التفاسير – للصابونى– جـ ١– صـ ٤٦٧
(٢) الأيتان (٨٨–٨٩) من سورة يونس
(٣) يراجع – قصص الأنبياء – لابن كثير – جـ١ – صـ ٣٠٥
(٤) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – جـ٥ – صـ ٤٢٩
(٥) الأيتان (٢٦–٢٧) من سورة نوح

ولهذا استجاب الله تعالى لموسى عليه السلام فيهم هذه الدعوة التى أمن عليها أخوه هارون فقال تعالى{ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا (٨٩)} [١]

أى كما أجيبت دعوتكما فاستقيما على أمرى ، قال ابن جريح عن ابن عباس : فاستقيما فامضيا لأمرى وهى الإستقامة ، وبعد هذه الدعوة قال ابن جريح إن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة ، وقال محمد بن كعب وعلى بن الحسين أربعين يوماً[٢]، هذه هى الآيات التسع ....

١-الجدب: بأن قل عنهم النيل وقصر عن إرواء أرضهم وسنوا الجدب يؤرخ بها فيقال لعام الجدب سنة ومنها أسنت القوم أى أصابتهم السنة.

٢-النقص: من الثمرات بسبب ما يأتى عليها من الجوائح والعاهات.

٣-الطوفان. ٤-الجراد. ٥-القمل. ٦-الضفادع.

٧-الدم. ٨-الطمس. ٩-اليد.

ويقول الأستاذ عبدالوهاب النجار على هذه الآيات بقوله: وبعض المفسرين يعد الآيات على غير هذا الوجه فيجعل فلق البحر من الآيات التسع وآخرون يجعلون انبجاس الحجر بالماء لبنى اسرائيل من الآيات التسع ولا يخفى أن فلق البحر إنما كان بعد تمام الآيات وانبجاس الحجر بالماء وإنما كان بعد هلاك فرعون فلا يصح أن يكون آية له ولقومه.

ويقول رحمه الله أيضاً:-

وأنا أعد الآيات هكذا: ١- السنون ٢- نقص الأموال ٣- نقص الأنفس ٤- نقص الثمرات ٥- الطوفان ٦- الجراد ٧- القمل ٨- الضفادع ٩- الدم ، واعلموا[٣]أن هذه الآيات التسع غير الآيات التى أرسل بها موسى

(١) الآية (٨٩) من سورة يونس

(٢) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – جـ٥ – صـ ٤٢٩

(٣) القائل – الأستاذ الشيخ/ عبدالوهاب النجار – رحمه

موسى إلى بنى إسرائيل وهى المذكورة فى قوله { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ (١٠١) } [١]

فقد فسرها الامام البيضاوى بأنها آيات أرسل بها موسى إلى بنى إسرائيل وهى أحكام أمروا بالأخذ بها لا آيات عقاب عوقب بها فرعون وجنوده وهو أحد وجوه أوردها فى هذه الآية[٢].

قال تعالى: { فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ (٣٩) } [٣]

أى فأعرض عن الإيمان بموسى بمجموعة وأجناده وقوته وسلطانه ،

قال مجاهد: تعزز عدو الله بأصحابه .. والغرض أن فرعون أعرض عن الإيمان بسبب ما كان يتقوى به من جنوده لأنهم كانوا له كالركن الذى يعتمد عليه البنيان[٤]

يقول الرازى رحمه الله ما نصه: فيه وجوه ..

الأول: الباء للمصاحبة – والركن إشارة إلى القوم كأنه تعالى يقول أعرض مع قومه – يقال نزل فلان بعسكره على كذا ويدل على هذا الوجه

قوله تعالى: { فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) } [٥]

قال تعالى { أَدْبَرَ} وهو بمعنى تولى ، وقوله تعالى { فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) } [٦] فى معنى قوله (بركنه) [٧]

---

(١) الأية (١٠١) من سورة الإسراء
(٢)يراجع – قصص الأنبياء – للأستاذ/ عبدالوهاب النجار – صـ ٢٣٤ – ٤٣٥
(٣) الآية (٣٩) من سورة الذاريات
(٤) يراجع – صفوة التفاسير – جـ ٤ – صـ ٢٥٦
(٥) الآيات (٢٠ : ٢٢) من سورة النازعات
(٦) الآية (٢٣) من سورة النازعات
(٧) الآية (٣٩) من سورة الذاريات

الثانى: (فتولى) [١] أى اتخذ ولياً ... والباء للتعدية حينئذ يعنى تقوى بجنده.

الثالث: تولى أمر موسى بقوته. كأنه قال: أقتل موسى لئلا يبدل دينكم ولا يظهر فى الأرض الفساد فتولى أمره بنفسه – وحينئذ يكون المفعول غير مذكور وركنه هو نفسه القوية .. ويحتمل أن يكون من ركنه هامان فإنه كان وزيره وعلى هذا الوجه الثانى أظهر [٢]...

قال تعالى:﴿ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ [٣]

أى لا يخلو أمرك فيما جئتنى به من أن تكون ساحراً أو مجنوناً[٤]، قال الرازى .. وقوله (سَاحِرٌ) أى لا يأتى الجن بسحره أو يقرب منهم والجن يقربون منه ويقصدونه إنه هو لا يقصدهم ، فالساحر والمجنون كلاهما أمره مع الجن – غير أن الساحر يأتيهم باختياره .. والمجنون يأتونه من غير اختياره. فكأنه أراد صيانة كلامه من الكذب فقال هو

يسحر الجن أو يُسحر. فإن كان ليس عنده منه خبر ولا يقصد ذلك فالجن يأتونه [٥]

قال تعالى: { فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (٤٠) } [٦]

{ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ } أى فأخذنا فرعون مع أصحابه وجنوده { فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ } أى فطرحناهم فى البحر لما أغضبونا وكذبوا رسولنا { وَهُوَ مُلِيمٌ } أى وهو آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان [١].

(١) الآية (٣٩) من سورة الذاريات
(٢) يراجع – مفاتيح الغيب – للرازى – جـ ٧ – صـ ٥٢٥
(٣) الآية (٣٩) من سورة الذاريات
(٤) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – جـ ٤ – ص ٢٣٧
(٥) يراجع – مفاتيح الغيب – للرازى – جـ ٢٧ – صـ ٥٢٥.
(٦) الآية (٤٠) من سورة الذاريات

يقول الشعراوى رحمه الله:-

أخذهم الله بأن القى فى نفوسهم حب اللحاق بموسى وأغراهم بذلك حتى تبعوهم وخاضوا البحر خلفهم. فأطبق الله عليهم الماء فأغرقهم بعد أن نجى موسى وبنى إسرائيل { فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ } أى ألقيناهم فى البحر { وَهُوَ } أى فرعون { مُلِيمٌ } أى فعل ما يلام عليه من عتوه وجبروته وادعائه للألوهية ، والمعنى أن الله تعالى لم يهلكه وجنوده بظلم أو جبروت إنما أهلكهم بما يستحقون من العذاب [٢]، ويقول الرازى رحمه الله:-

وذلك عن تفسيره لهذه الآية ما نصه: هو إشارة إلى بعض ما أتى به كأنه يقول واتخذ الأولياء فلم ينفعوه وأخذ الله هو وأركانه وألقاهم جميعاً فى اليم وهو البحر ...

وقوله تعالى { وَهُوَ مُلِيمٌ } نقول فيه شرف موسى عليه السلام وبشارة للمؤمنين أما شرفه فلأنه تعالى قال بأنه أتى بما يلام عليه بمجرد قوله ، إنى أريد هلاك أعدائك يا إله العالمين .. فلم يكن له سبب إلا هذا .. أما فرعون فقال { أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤) } [٣]

فكان سببه تلك وهذا كما قال القائل "فلان عيبه أنه سارق أو قاتل أو يعاشر الناس فيؤذيهم وفلان عيبه أنه مشغول بنفسه لا يعاشر ، فتكون نسبة العيبين بعضهما إلى بعض سبباً لمدح أحدهما وذم الأخر. وأما بشارة المؤمنين فهو بسبب ان من ألتقمه الحوت وهو مُليم – نجاه الله .. بتسبيحه

=

(١) يراجع – صفوة التفاسير – جـ ٤ – صـ ٢٥٦

(٢) يراجع – تفسير الشعراوى – جـ ٢٣ – ١٤٥٩٩

(٣) الآية (٢٤) من سورة النازعات

ومن أهلكه الله بتعذيبه لم ينفعه إيمانه حين قال { آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ (٩٠) } [١][٢]

****

٣-اختلاف موقع المفاجأة: القصة القرآنية لا تسير على نظام واحد فى تقديم الحدث المفاجئ الذى يسهم فى النهاية ويحرك القصة إلى حل عقدتها الرئيسة ، بل تراعى المكان والزمان المناسبين لإظهار المفاجأة، فالهيئة التى تقدم بها القصة فى مجال العقيدة غير تلك التى تكون فى مجال التطبيق العملى.

(١) الآية (٩٠) من سورة يونس

(٢) يراجع – مفاتيح الغيب للرازى – جـ ٢٧ / صـ ٥٢٦

قصة هلاك قوم نوح

ثم أخبر المولى جل وعلا عن هلاك قوم نوح: فقال "وقوم نوح من قبل": أى وأهلكنا قوم نوح بالطوفان من قبل هؤلاء المذكورين "فرعون وعاد وثمود".

قال تعالى: { إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٤٦) } [١]

تعليل للهلاك أى أنهم فسقة خارجين عن طاعة الرحمن بارتكابهم الكفر والعصيان. [٢]– وقد بسط القرآن الكريم فصتهم فى مواضع أخرى بالتفصيل وأن نوحاً عليه السلام لبث فى دعوتهم ألف سنه إلا خمسين عاماً، ما آمن معه إلا قليل ، وإنهم صموا آذانهم عن دعوته واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا ستكباراً .. إلى أن يئس منهم نوح عليه السلام فدعا عليهم [٣]، قال تعالى: { وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) }[٤]

أى لا تترك على وجه الأرض منهم أحداً وديارا وهذه من صيغ المبالغة تأكيد النفى ، قال الضحاك دياراً واحداً ، وقال السدى الديار الذى يسكن الدار فاستجاب الله له فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين حتى ولد "نوح" لصلبه الذى اعتزل عن أبيه

قال تعالى: { قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ

(١) الآية (٤٦) من سورة الذاريات
(٢) يراجع – صفوة التفاسير – للصابونى – جـ ٢٧ – صـ ٢٥٧
(٣) يراجع – تفسير الشعروای – جـ ٣ – صـ ١٤٦٠٣
(٤) الآيتان (٢٦ – ٢٧) من سورة نوح

الْمُغْرَقِينَ (٤٣) } [١] [٢]، قال ابن جزى رحمه الله: و(ديارا) من الأسماء المستعملة فى النفى العام ، يقال ما فى الدار ديار أى ما فيها أحد[٣]، وعلل ذلك بقوله { إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ (٢٧) }

أى إنك إن أبقيت منهم أحداً أضلوا عبادك عن طريق الهدى ، قال تعالى: { وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) }[٤] أى ولا يأتى من أصلابهم إلا كل فاجر وكافر [٥]

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله:-

وذلك لخبرته بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاماً [٦] ،

وقال فخر الدين الرازى رحمه الله:-

فإنه قيل ... كيف عرف نوح ذلك؟ قلنا بالاستقراء ، فإنه لبث فيهم ألف سنه إلا خمسين عاماً فعرف طباعه وجربهم وكان الرجل ينطلق بابنه إليه ويقول: "يا بنى احذر هذا فإنه كذاب وإن أبى أوصانى بمثل هذه الوصية. فيوت الكبير وينشأ الصغير على ذلك" ، فلذلك

قال تعالى: {وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) }[٧] ،لما دعا على الكفار أعقبه بالدعاء على المؤمنين فقال { رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ (٢٨) } [٨]

(١)الآية (٤٣) من سورة هود
(٢) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – جـ ٤ – صـ ٤٢٧
(٣) يراجع – التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى – جـ ٤ – صـ ١٥١
(٤) الآية (٢٧) من سورة نوح
(٥) يراجع – صفوة التفاسير – جـ ٢٩ – صـ ٤٠
(٦) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – جـ ٤ – صـ ٤٢٧
(٧) الآية (٢٧) من سورة نوح
(٨) الآية (٢٨) من سورة نوح

بدأ بنفسه ثم بأبويه ثم عمم لجميع المؤمنين والمؤمنات ليكون ذلك أبلغ وأجمع[١]، يقول الحافظ بن كثير رحمه الله: دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات وذلك يعم الأحياء منهم والأموات ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء اقتداء بنوح عليه السلام وبما جاء فى الآثار والأدعية المشهورة[٢]،

قال تعالى: { وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨) }[٣]

أى لا تزد يارب من جحد بآياتك وكذب رسلك إلا هلاكاً وخساراً فى الدنيا والأخرة [٤]، قال السدى: إلا هلاكاً ، وقال مجاهد: إلا خساراً أى فى الدنيا والأخرة[٥].

ولما انتهى من أخبار هلاك الأمم الطاغية المكذبة .. شرع فى بيان دلائل القدرة والوحدانية فقال { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ (٤٧) } [٦] السماء يراد بها كل ما علانا[٧]، وفى السماء آيات وعبر تدل على أن الصانع قادر على الكمال فعطف أمر السماء على قصة قوم نوح لأنهما آياتان[٨] ، { بَنَيْنَاهَا } أى جعلناها سقفاً محفوظاً رفعياً[٩]

(١) يراجع – صفوة التفاسير – جـ ٢٣ – صـ ٢٥٥
(٢) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – جـ ٤ – صـ ٤٢٨
(٣) الآية (٢٨) من سورة نوح
(٤) يراجع – صفوة التفاسير – جـ ٣ – صـ ٤٥٥
(٥) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – جـ ٤ – صـ ٤٢٨
(٦) الآية (٤٧) من سورة الذاريات
(٧) يراجع – تفسير الشعراوى – جـ – صـ ٤٦٠٤
(٨) يراجع – الجامع لأحكام القرآن – للقرطبى – جـ ٩ – صـ ٣٤
(٩) يراجع تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – جـ ٤ – صـ ٢٣٧

يقول الإمام الرازى رحمه الله:-

كرر ذكر السموات قال تعالى { وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) } [١]، وقال تعالى: { أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) } [٢]، قال تعالى: { جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً (٦٤) } [٣]

فما الحكمة فيه: نقول فيه وجوه:

إحداها:

أن البناء باق إلى يوم القيامة لم يسقط منه شئ ولم يعدم منه جزء وأما الأرض فهى فى التبدل والتغير كالفرش الذى يبسط ويطوى وينقل ، والسماء كالبناء المبنى الثابت وإليه الإشارة بقوله قال تعالى: { سَبْعًا شِدَادًا (١٢) }[٤] ، وأما الأرض فكم منها صار بحراً وعاد أرضاً من وقت حدوثها.

ثانيها:

أن السماء تُرى كالقبة المبنية فوق الرؤوس والأرض مبسوطة مدحوة والبناء بالمرفوع أليق كما قال تعالى: { رَفَعَ سَمْكَهَا (٢٨) } [٥].

ثالثها:

قال بعض الحكماء السماء مسكن الأرواح والأرض موضع الأعمال والمسكن أليق بكونه بناء والله أعلم ، ويقول أيضاً الأصل تقديم العامل على المعمول والفعل هو العامل فقوله تعالى { بَنَيْنَاهَا } أمل فى السماء فما الحكمة فى تقديم المفعول على الفعل ولو قال وبينينا المساء بأيد كان

(١) الآية (٥) من سورة الشمس
(٢)الآية (٢٧) من سورة النازعات
(٣) الآية (٦٤) من سورة غافر
(٤) الآية (١٢) من سورة النبأ
(٥) الآية (٢٨) من سورة النازعات

أوجز؟ نقول: الصانع قبل الصنع عند الناظر فى المعرفة ، فلما كان المقصود اثبات العلم بالصانع قدم الدليل فقال

والسماء المزينة التى لا تشكون فيها بنيناها فاعرفونا بها إن كنتم لا تعرفوننا[١].

قوله تعالى { بِأَيْيدٍ } أى القوة ، والأيد القوة هذا هو المشهور وبه فسر قوله تعالى { ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) } [٢] - [٣]

قال القرطبى رحمه الله أى بقوة وقدرة عن ابن عباس وغيره[٤]، وقال ابن كثير رحمه الله: أى بقوة قاله ابن عباس والمجاهد وقتادة والثورى وغيره[٥] – (وإنا لموسعون): اى قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى أستقلت كما هى[٦]

يقول الإمام القرطبى رحمه الله:

قال ابن عباس: لقادرون ، وقيل أى وإن لذو سعة بخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شئ نريده ، وقيل وإنا لموسعون الرزق على خلقنا ، عن ابن عباس أيضاً الحسن: إنا لموطيقون ، وعنه أيضاً أو إنا لموسعون الرزق والمطر ، وقال الضحاك: أغنيناكم – دليله قال تعالى: { عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ (٢٣٦) }[٧]

وقال القتبى: ذو سعة على خلقنا والمعنى متقارب ، وقيل جعلنا بينهما وبين الأرض سعة ، الجوهرى: وأوسع الرجل أى صار ذا سعة وغنى

(١) يراجع – مفاتيح الغيب – للرازى – جـ ٢٨ – صـ ٥٣٣
(٢) الآية (١٧) من سورة ص
(٣) يراجع – مفاتيح الغيب – للرازى – جـ ٢٨ – صـ ٥٣٥
(٤) يراجع – الجامع لأحكام القرآن – جـ ٩ – صـ ٣٤
(٥) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – جـ ٤ – صـ ٢٣٧
(٦) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – جـ ٤ – صـ ٢٣٧
(٧) الآية (٢٣٦) من سورة البقرة

ومنه قوله تعالى: { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ (٤٧) }[١] أى أغنياء قادرون فشمل جميع الأقوال[٢].

قال تعالى: { وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) }[٣] أى والأرض مهدناها تستقر عليها وبسطناها لكم ومددنا فيها لتنتفعوا بها بالطرقات وانواع المزروعات ولا ينافى ذلك كروتها فذلك أمر مقطوع به فإنها مع كرويتها واسعة ممتدة فيها السهول الفسيحة والبقاع الواسعة مع الجبال والهضاب ولهذا قال { فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ} [٤] أى فنعم الباسطون الموسعون لها نحن وصيغة الجمع للتعظيم [٥].

قال تعالى: { وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) }[٦]

أى صنفين ونوعين محتلفين ، قال ابن زيد: أى ذكر وأنثى وحلو وحامضاً ونحو ذلك ، مجاهد: يعنى الذى والأنثى والسماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والنور والظلام والسهل والجبل والجن والإنس والخير والشر والبكرة والعشى وكل الأشياء المختلفة الألوان من الطعوم والأرايح والأصوات ، أى وجعلنا هذا كهذا دلالة على قدرتنا ومن قدر على هذا فليقدر على الإعادة ، وقيل "ومن كل شيئ خلقنا زوجين "لتعموا أن خالق الأزواج فرد فلا يقدر فى صفته حركة ولا سكون ولا ضياء ولا ظلام وقعود

(١) الآية (٤٧) من سورة الذاريات
(٢) يراجع – الجامع لأحكام القرآن – للقرطبى – جـ ٩ – صـ ٣٤ – ٣٥
(٣) الآية (٤٨) من سورة الذاريات
(٤) الآية (٤٨) من سورة الذاريات
(٥) يراجع – صفوة التفاسير – للصابونى – جـ ٤ – صـ ٢٥٧
(٦) الآية (٤٩) من سورة الذاريات

ولا قيام ولا ابتداء ولا انتهاء إذ هو عز وجل وتر قال تعالى: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (١١)} [١] ، { لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [٢].

قال تعالى: { فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) } [٣]

لما دعا المولى تبارك وتعالى العباد إلى النظر إلى آياته الموجبة لخشية والإنابة إليه أمر بما هو المقصود من ذلك وهو الفرار إليه ، أى الفرار مما يكرهه الله ظاهراً أو باطناً إلى ما يحبه ظاهراً وباطناً فراراً من الجهل إلى العلم ومن الكفر إلى الإيمان ومن المعصية إلى الطاعة ومن الغفلة إلى الذكر فمن استكمل هذه الأمور فقد استكمل الدين كله وزال عنه المرهوب وحصل له غاية المراد والمطلوب[٤]

"ففروا إلى الله" أى إلجأوا إليه واهرعوا إلى توحيده وطاعته[٥]،

قال أبو حيان رحمه الله فى البحر: والأمر الفرار إلى الله أمر بالدخول فى الإيمان وطاعة الرحمن وإنما ذكر لفظ الفرار لينبه على أن وراء الناس عقاباً وعذاباً وأمر حقه أن يفر منه ، فقد جمعت اللفظة بين التحذير والإستدعاء ومثله قول النبى ﷺ "لاملجأ ولا منجى منك إلا إليك" [٦]

٤- تنوع وسائل ربط المشاهد: من أبرز الخصائص الفنية للقصة القرآنية الإستقصاء فى عرض مشاهد القصة ارتفاعاً بها عن وهدة السرد المعتاد ، ففى القصه الواحدة تجد بعض المشاهد متتابعة ، وبعضها فيه فجوة تترك لخيال القارئ ليملأها.

(١)الآية (١١) من سورة الشورى
(٢) الآية (٤٩) من سورة الذاريات
(٣) الآية (٥٠) من سورة الذاريات
(٤) يراجع – تيسير الكريم المنان – للسعدى – جـ ٨ – صـ ١٤٢
(٥) يراجع – صفوة التفاسير – للصابونى – جـ ٤ – صـ ٢٥٨
(٦) يراجع – البحر المحيط – لأبى حيان – جـ ٨ – صـ ١٤٢

قصة سيدنا – صالح عليه السلام مع قومه

قال تعالى: { وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ(٤٣) } [١]

وهم قوم سيدنا صالح عليه السلام [٢]، أى أن هؤلاء القوم فيهم "أية وعبرة" حين قال لهم عيشوا متمتعين بالدنيا" { حَتَّىٰ حِينٍ } أى إلى وقت الهلاك بعد عقرهم للناقة وهو ثلاثة أيام

قال تعالى: { تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ (٦٥) } [٣] أى خالفوا أمر الله فعقروا الناقة [٤]

يقول الشيخ الشعراوى رحمه الله:-

أى مالوا عن أمر ربهم وتركوه وهجره ... وهذا الفعل (عنى) عُتوا بتعدى ب(على) كما فى قوله تعالى{أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا (٦٩)} [٥] وهنا تعدى بعن وقيل معنى "تمتعوا" أى أسلموا وتمتعوا إلى وقت فراغ آجالكم.

قال تعالى: { فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ (٤٤) } [٦]

فقد عتوا عن الأمر لا على الآمر.

{ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ } الصاعقة – صوت مزعج يأتى من أعلى تصاحبه إما نار حارقة أو ريح مدمرة [٧]. قال الإمام القرطبى رحمه الله:

(١) الآية (٤٣) من سورة الذاريات
(٢) يراجع – تفسير الشعروى – جـ ٢٣ – صـ ١٤٦٠٢
(٣) الآية (٦٥) من سورة هود
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ٩ / صـ ٣٤
(٥) الآية (٦٩) من سورة مريم
(٦) الآية (٤٤) من سورة الذاريات
(٧) يراجع – تفسير الشعروى – جـ ٢٣ – صـ ١٤٦٠٢

هى الموت – وقيل هى كل عذاب مهلك ، قال الحسين بن واقد: كل صاعقة فى القرآن فهو العذاب(١).

{ وَهُمْ يَنظُرُونَ }: (٢) أى وهم يشاهدونها ويعاينونها لأنها جاءت فى وضح النهار (٣)

وقال الإمام القرطبى رحمه الله ... إليها نهاراً (٤)

وقال الحافظ بن كثير رحمه الله:

وذلك أنهم انتظروا العذاب ثلاثة أيام فجاءهم فى صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار (٥)،

وقال الألوسى رحمه الله:-

إن صالحاً عليه السلام وعدهم بالهلاك بعد ثلاثة أيام وقال لهم تصبح وجوهم غدا مصفرة وبعد غد محمرة وفى اليوم الثالث مسودة ثم يصحبكم العذاب فلما رأوا الآيات التى بينها عليه السلام عمدوا إلى قتله فنجاه الله .. وفى اليوم الرابع أتتهم الصاعقة وهى نار من السماء ، وقيل صحية فهلكوا(٦).

قال تعالى: { فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ } (٧)

قيل معناه من نهوض ، وقيل ما أطاقوا أن يستقلوا بعذاب الله وأن يتحملوه ويقوموا به ويدفعوه عن أنفسهم ، تقول: لا أقوم لهذا الأمر أى لا أطيقه ، وقال ابن عباس: أى ذهبت أجسامهم وبقيت أرواحهم فى العذاب.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ٩ / صـ ٣٣
(٢) الآية (٤٤) من سورة الذاريات
(٣) يراجع – صفوة التفاسير – جـ ٢٧ – صـ ٢٥٧
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ٣٣ / صـ ٩
(٥) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير– جـ ٤ – صـ ٢٣٧
(٦) يراجع – روح المعانى – جـ ٢٧ – صـ ١٦
(٧) الآية (٤٥) من سورة الذاريات

قال تعالى: { وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (٤٥)} [١] أى ممتعين من العذاب حتى أهلكوا ،أى ما كان لهم ناصر [٢]

يقول الشعروای رحمه الله:

اى لم يستطيعوا نصر أنفسهم ولم ينصرهم أحد ولم يدافع عنهم أحد[٣].

٥-عدم التزام السرد القصصى: لا يلتزم فى القصة القرآنية السرد القصصى دائماً ، لكنه قد يلتزم للوصول إلى الغاية من القصة ، ووفقاً لذلك الإلتزام نرى من القصص القرآنية ما تقدم كاملة الأحداث والمواقف فى معرض واحد.

وقال ابن الجوزى رحمه الله فى زاد المسير المعنى: اهربوا مما يوجب العقاب من الكفر والعصيان إلى ما يوجب الثواب من الطاعة والإيمان[٤]
قال تعالى: { إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ }[٥]

أى إنى أنذركم عذاب الله وأخوافكم انتقامه ، { مُبِينٌ } أى واضح أمرى فقد أيدنى الله بالمعجزات الباهرات[٦]

قال تعالى { وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٩) }[٧]

(١) الآية (٤٥) من سورة الذاريات
(٢) يراجع – لأحكام القرآن – للقرطبى جـ ٩ / صـ ٣٤
(٣) يراجع – تفسير الشعروای – جـ ٢٣ – صـ ١٤٦٠٣
(٤) يراجع – زاد المسير – لابن الجوزى – جـ ٨ – صـ ٤١
(٥) الآية (٥٠) من سورة الذاريات
(٦) يراجع – صفوة التفاسير – للصابونى – جـ ٤ – صـ ٢٥٨
(٧) الآية (٥١) من سورة الذاريات

أى لا تشركوا مع الله أحدا من بشرا أو حجر[١]، { إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} المتكلم هنا هو رسول الله ﷺ فهو النذير من عند الله وقال { نَذِيرٌ } لأن الفرار يناسبه الإنذار لتفر مما يخيفك إلى ما يأمنك ، "مبين" أى إنذاراتى لكم واضحة وحجتى بينة ظاهرة

وقال الخازن رحمه الله:

وإنما كرر اللفظ عند الأمر بالطاعة والنهى عن الشريك ليعلم أن الإيمان لا ينفع إلا مع العمل كما أن العمل لا ينفع إلا مع الإيمان وأنه لا يفوز وينجو عند الله إلا الجامع بينهما[٢].

قال تعالى: { كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣) }[٣]

هذه تسلية للنبى ﷺ أى كما كذبك قومك يا محمد وقالوا عنك أنك ساحر أو مجنون قال المكذبون الأولون لرسلهم فلا تحزن لما يقول المجرمون. { أَتَوَاصَوْا بِهِ } أى هل أوصى أولهم أخرهم بالتكذيب وهو استفهام للتعجب على إجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة ، ثم اضرب عن هذا النفى والتوبيخ

فقال: { بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ } أى لم يوصى بعضهم بعضاً بذلك بل حملهم الطغيان على التكذيب والعصيان ولذلك قالوا ما قالوا[٤] ، يقول السعدى رحمه الله: يقول الله عز وجل مسليا لرسوله ﷺ عن تكذيب المشركين بالله المذكبين له القائلين فيه من الأقوال الشنيعة ما هو منزه عنه، وأن هذه الأقوال مازالت دأبا وعادة للمجرمين المكذبين للرسول فما أرسل الله

(١) يراجع – صفوة التفاسير – للصابونى – جـ ٤ – صـ ٢٥٨
(٢) يراجع – تفسير الخازن – جـ٤ – صـ ٢٠٤
(٣) الآيتان (٥٢ –٥٣) من سورة الذاريات
(٤) يراجع – صفوة التفاسير – جـ٤ – صـ ٢٥٨

ﷺ من رسول الله إلا رماه قومه بالسحر والجنون ، يقول الله تعالى هذه الأقوال التى صدرت منهم – الأولين والآخرين – هل هى أقوال تواصوا بها ولقن بعضهم بعضا بها؟ فلا يستغرب بسبب ذلك اتفاقهم عليها ، "بل هم قوم طاغون" تشابهت قلوبهم وأعمالهم بالكفر والطغيان فتشابهت أقوالهم الناشئة عن طغيانهم وهذا هو الواقع كما قال:

{ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ (١١٨) }[١]

وكذلك المؤمنون لما تشابهت قلوبهم بالإذغان للحق وطلبه والسعى فيه بادروا إلى الإيمان برسلهم وتعظيمهم وتوقيرهم وخطابهم بالخطاب اللائق بهم [٢].

قال تعالى: { فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ (٥٤) } [٣]

أى فاعرض عنهم يا محمد[٤]، يقول الإمام القرطبى رحمه الله: أى اعرض عنهم واصفح عنهم[٥]. { فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ } فلا لوم عليك ولا عتاب لأنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة وبذلت الجهد فى النصح والإرشاد.

"وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين": أى لا تدع التذكير والموعظة فى القلوب المؤمنة تنتفع وتتأثر بالموعظة الحسنة[٦].

قال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) }[٧]

وجه الربط بينها وبين قبلها:-

(١) الآية (١١٨) من سورة البقرة
(٢) يراجع – تفسير الكريم المنان – جـ ٨ – صـ ٢٩
(٣) الآية (٥٤) من سورة الذاريات
(٤) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – جـ ٤ – صـ ٢٣٨
(٥) يراجع – الجامع لأحكام القرآن – للقرطبى – جـ ٩ – صـ٣٦
(٦) يراجع – صفوة التفاسير – للصابونى – جـ ٤ – ص٢٥٨
(٧) الآية (٥٦) من سورة الذاريات

يقول الإمام الرازى رحمه الله:-

وأما تعلقها بما قبلها فلوجوه:

أحداها: أنه تعالى لما قال "وذكر" يعنى أقصى غاية التذكير وهو أن الخلق ليس إلا للعبادة فالمقصود من إيجاد الإنسان العبادة فذكرهم بها واعملهم أن كل ما عاداه تضييع للزمن

والثانى: هو أن ذكرنا مرارا أن شغل الأنبياء منحصر فى أمرين:

عبادة الله ، وهداية الخلق ولما قال تعالى: { فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ (٥٤) }[١]

بين أن الهداية قد تسقط عند اليأس وعدم المهتدى وأما العبادة فهى لازمه والخلق المطلق لها وليس الخلق مطلق للهداية ، قال تعالى: { فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ (٥٤) }[٢]

إذا أتيت بالعبادة التى هى أصل إذا تركت الهداية بعد بذل الجهد فيها، والثالث: هو أنه لما بين حال من قبله من التكذيب ذكر هذه الآية ليبين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله فما كان خلقهم إلا للعبادة[٣] ومعنى الآية وما خلقت الثقلين الإنس والجن إلا لعبادتى وتوحيدى لا لطلب الدنيا والإنهماك بها قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره:

إنما خلقتهم لأمرهم بعبادتى لا لاحتياجى إليهم ، وقال على بن ابى طلحة عن ابن عباس { إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }[٤] أى إلا ليقروا بعبادتى طوعا أو كرها وهذا اختيار ابن جرير ، وقال ابن جريح إلا ليعرفون ، وقال الربيع بن أنس: { إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }[٥] أى إلا للعبادة ، وقال السدى: من العبادة ما ينفع

(١) الآية (٥٤) من سورة الذاريات
(٢) الآية (٥٤) من سورة الذاريات
(٣) يراجع – مفاتيح الغيب – للرازى – جـ ٢٨ – صـ ٥٤٣
(٤) الآية (٥٦) من سورة الذاريات
(٥) الآية (٥٦) من سورة الذاريات

ومنها ما لا ينفع وقال تعالى: { وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ (٢٥) }[١] هذا منهم عبادة وليس ينفعهم مع الشريك ، وقال الضحاك بذلك المؤمنون[٢]

قال تعالى: { مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) }[٣]

أى لا أريد منهم أن يرزقونى أو يرزقوا أنفسهم أو غيرهم بل أنا الرزاق المعطى ولا أريد منهم أن أن يطعموا خلقى ولا أن يطعمونى فأنا الغنى الحميد [٤] يقول الإمام البيضاوى والمراد أن من شأنه مع عباده وليس من شأن السادة مع بيدهم فإنهم إنما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم[٥]، فكأنه سبحانه يقول ما أريد أن أستعين بهم كما يستعين السادة بعبيدهم فليشتغلوا بما خُلقوا له من عبادتى [٦].

قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) }[٧]

أى أنه جل وعلا هو الرزاق المتكفل بأرزاق العباد وحاجاتهم ، اتى الله جل وعلا باسم الجلالة الظاهر للتفخيم والتعظيم وأكد الجملة بأن الضمير المنفصل لقطع أوهام الخلق فى أمور الرزق وليقوى اعتمادهم على الله عز وجل { ذُو الْقُوَّةِ } أى ذو القدرة الباهرة { الْمَتِينُ } أى شديد القوة لا يطرأ عليه عجز ولا ضعف [٨].

(١) الآية (٢٥) من سورة لقمان
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٤ ، صـ٢٣٨
(٣) الآية (٥٧) من سورة الذاريات
(٤) يراجع – صفوة التفاسير – للصابونى – جـ ٤ – صـ ٢٥٩
(٥) يراجع – تفسير البيضاوى – جـ ٤ – صـ ١٦٨
(٦) يراجع – صفوة التفاسير – للصابونى – جـ٤ – صـ ٢٥٨
(٧) الآية (٥٨) من سورة الذاريات
(٨) يراجع – صفوة التفاسير – جـ ٤ – صـ ٢٥٩

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:-

أخبر تعالى أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إلى الله فى جميع أحوالهم فهو خالقهم ورازقهم[١]، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يعنى قال الله تعالى "يا ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك عنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت يدك شغلا ولم أسد فقرك"[٢]

قال تعالى: { فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (٥٩) }[٣]: أى فإن لهؤلاء الكفار الذين كذبوا الرسول ﷺ نصيباً من العذاب مثل نصيب أسلافهم الذين أهلكوا كقوم نوح وعاد وثمود [٤] ، قال الفراء "الذنوب" فى كلام العرب: الدلو العظيمة ولكن العرب تذهب بها إلى النصيب والحفظ.

وقال ابن قيبية: أصل الذنوب الدلو العظيمة وكانوا يستقون فيكون لكل وأحد ذنوب [٥]

وقال ابن الأعرابى: يقال قوم ذنوب أى قوم طويل الشر لا ينقضى ، وأصل الذنوب فى اللغة الدلو العظيمة وكانوا يستقون الماء فليقسمون ذلك على الانصباء فقيل للذنوب نصيب من هذا ..

وقال الجوهرى: والذنوب الفرس الطويل الذنب والذنوب النصب ، والذنوب لحم أسفل المتن ، والذنوب الدلو الملأى ماء ، وقال ابن السكيت: فيها ماء قريب من الملُ يؤنث ويذكر ولا يقال لها فارغة ذنوب ، والجمع فى

(١) يراجع – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – جـ ٤ – صـ ٢٣٨
(٢) أخرجه الإمام الترمذى فى أبواب الزهد جـ ٤ صـ ٦٤٢.
(٣) الآية (٥٩) من سورة الذاريات
(٤) يراجع – صفوة التفاسير – لابن كثير – جـ ٤ – صـ ٢٥٩
(٥) يراجع – زاد المسير – لابن الجوزى – جـ ٨ – صـ ٤٢

أدنى العدد أذنبه والكثير ذنائب مثل قلوص وقلائص [١]، { فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ}: أى فلا يتعجلوا عذابى فإنه واقع لا محالة إن عاجلاً أو أجلاً[٢]

قال الإمام القرطبى رحمه الله:

فلا يستعجلون نزول العذاب بهم ، قالوا: يا محمد

قال تعالى: { فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) }[٣]

فنزل بهم يوم بدر ما حقق به وعده وعجل بهم انتقامه ، ثم لهم فى الآخرة العذاب الدائم والخزى القائم الذى لا انقطاع له ولا نفاد ولا غاية ولا آباد[٤].

قال تعالى: { فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠) } [٥] :

الويل: واد فى جهنم يسيل بصديد أهل النار[٦]وهى كلمة مثل ويح إلا أنها كلمة عذاب[٧]، والويل: حلول الشر ، وقيل هو تفجع ، والويل الحزن والهلاك والمشقة من العذاب[٨]، وقد جاء فى الحديث: عن أبى

سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ "الويل واد فى جنهم يهودى فيه الكافر أربعين خريفاً ، وفى هذا اليوم:- هلاك ودمار وشدة عذاب لهؤلاء الكفار فى يوم القيامة الذى وعدهم الله به[٩] .[1]

الوجوه البلاغية

(١) يراجع – الجامع لأحكام القرآن – للقرطبى – جـ ٩ – صـ ٣٧
(٢) يراجع – صفوة التفاسير – للصابونى – جـ ٤ – صـ ٢٥٩
(٣) الآية (٧٠) من سورة الأعراف
(٤) يراجع – الجامع لأحكام القرآن – للقرطبى – جـ ٩ – صـ ٣٧
(٥) الآية (٦٠) من سورة الذاريات
(٦) يراجع – أيسر التفاسير – للجزائرى – جـ ٥ – صـ ١٧٢
(٧) يراجع – مختار الصحاح – للرازى – صـ ٧٣٩
(٨) يراجع – لسان العرب – لابن منظور – مادة ويل – جـ ١٥ – صـ ٢٥٦
(٩) يراجع – أيسر التفاسير – للجزائرى – جـ ٥ – صـ ١٧٢

١-الطباق قال تعالى : ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩) ﴾[١]لأن السائل الطالب والمتعفف.

٢-تأكيد الخبر بالقسم وإن اللام قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ (٢٣) ﴾[٢] ويسمى هذا الضرب إنكارياً ؛ لأن المخاطب منكر بذلك.

٣-أسلوب التشويق والتفخيم قال تعالى:﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) ﴾[٣].

٤-الأستعارة قال تعالى:﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ (٣٩)﴾ [٤] استعار الركن للجنود والجموع لأنه يحصل بهم التقوى والاعتماد كما يعتمد على الركن فى البناء أو استعارة للقوة والشدة.

٥-المجاز العقلى قال تعالى:﴿ وَهُوَ مُلِيمٌ (٤٠)﴾ [٥]أطلق اسم الفاعل على اسم المفعول أى ملام على طغيانه.

(١) الآية (١٩) من سورة الذاريات
(٢) الآية (٢٣) من سورة الذاريات
(٣) الآية (٢٤) من سورة الذاريات
(٤) الآية (٣٩) من سورة الذاريات
(٥) الآية (٤٠) من سورة الذاريات

التوصيات والنتائج :

مميـزات وخصـائص القصـص القرآنـي يعـد القصـص القرآنـي واقعـاً لمشاهد حقيقة، حيث لا مجال للخيال فيه، كما لا يوجد روابط وعلاقة له بالحكايات والأساطير التي يحيكها المؤلفون، والتي عادةً تكون من نسج الخيال. يعد مصدر القصص القرآني من الله سبحانه وتعالى، إذ جاء مناسباً لما يحتاج الناس إليه من عبر وتعاليم، كما جاء مخاطباً لمكنون أنفسهم وعقولهم. لا يعتبر تأريخاً للبشرية والناس طبقاً لمنهج المؤلفين والمؤرخين بالرغم من أنّه جاء مستنبطاً من الواقع وتألف من الحقائق؛ حيث إنّه لم يهتم بتحليل الأحداث أو الأماكن، إنّما تناول من التاريخ ما ينفع الدعوة الإسلامية ويفيدها. يهدف التكوين القصصي للقصص القرآني لخدمة القضية الرئيسية والأولى، ألا وهي الدعوة لتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له. لا يولى القرآن الكريم عنايةً واهتماماً لكل من عنصر المكان والزمان، إذ لا يذكرهما إلا في حال كانا يخدمان القضية الأساسية. لعبت المشاهد التي قام القصص القرآني بذكرها والاستعانة بها دوراً كبيراً في تحقيق الهدف المنشود الذي تم ذكرها من أجله. يعد الهدف من تكرار القصة الواحدة أكثر من مرة في عدة مواقع هو التأكيد والتوضيح. يعد الأسلوب القرآني أسلوباً شيقاً وراقٍ، إذ لا يؤثر في العبرة أو المعنى المستهدف من ذكر القصة التي يتحدث عنها القرآن. أهداف ومقاصد القصص القراني من أهم القضايا التي تعالجها سورة الذاريات

١-الحديث عن كفار مكة الذين كذبوا بالقران الكريم وبالدار الاخرة لانهم في الدنيا محسنين علي طريقة القران الكريم في الترغيب والترهيب والاعذار والانذار

٢-التحدث عن دلائل القدر ولوحدانية في الكون

٣-التحدث عن خلق الانسان في ابدع صورة واجمل تكوين وهذا دليل علي قدرة الله عز وجل

٤-ثم انتقلت للحديث عن القصة في القران تحدثت عن الرسل وعن موقف الطاغية من انبيائهم وما حل بهم من عذاب

٥-تحدثت عن قة نبي الله إبراهيم ولوط وقصة موسي

٦-تحدثت عن الطغاة المجرمين من قوم عاد وثمود وقوم نوح

٧-الحكمة من ذكر القصة في القران ان في هذا تسلية للرسل الكرام وعبرة لاولي الابصار ٠يعتبر بها من كان له قلب وفي النهاية ٠٠جاء الختام في السورة ٠٠ببيان الغاية منخلق الانس والجن وهي معرفة الله جل وعلا وعبادته وتوحيده وافراده بالاخلاص والتوجه لوجه الكريم بأنواع العبادات

٨- ربط القلب بالسماء ، ورفعه ليرفرف دائما محلقا ينظر من الأعلى .. ولا ينشغل بسفساف الأمور ، ومن أكثر ما يجعل القلب أرضي دنيوي ويعوق تحليقه : قضية (الرزق) بأنواعه مالا وعلما وخلقا .. الخ ، وقد ورد في هذه السورة عدة آيات في هذا الباب كأنها تقول للعبد دع عنك الرزق فهو ليس شأنك بل الله يأتيك به ، وانشغل لما خلقت له ، بل وأقسم الله بعظمته وجلاله لهذا الصغير المدعو إنسان لعله يوقن (والله المستعان) ، مرارا وتكرارا أتت قضية الرزق لتكن القلوب سماوية علوية تتفرغ من الدنيويات وتنشغل بالله وفقط .

- ١- في قصة إبراهيم عليه السلام ، قالت الملائكة إجابة على تعجب زوج إبراهيم الكريمة "إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ" سبحانه عليم بالوقت المناسب ليأت لـ إبراهيم وزوجه الولد بعد كبر وطول انتظار ، وله في ذلك حكمة باهرة ، لمن يحسن التأمل في أقدار الله ، وهكذا الله عليم حكيم

في كل حال ، ومهما تأخر لنا شيئا تمنينه لنتذكر " عليم حكيم " يعلم الوقت الأنسب ليأتِ ما تأخر ، وله في ذلك الحكم سبحانه .

- " وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ" من صفات أهل الإيمان التي يجب أن نسعى لاكتسابها ، النظر في عاقبة المكذبين من قبلنا وكلما غفلنا أو عصينا نخاف أن تصيبنا من الله صاعقة كما أصابت الأقوام المعينين ، أو يخسف بنا كما خسف بالأقوام الآخرين .. وهكذا، حتى نزرع في قلوبنا الخوف من الله جل في علاه .
- " وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ" في فقه الدعوة إلى الله ، وفي عالم الأخوة في الله ، لا بد أن نعي هذه الآية جيدا ، كثيرا ما نمتنع عن قول الخير لأن من ستقولينه لها (تعرف) نعم تعرف لكن الذكرى تنفع .

المراجع

١_الأشباه والنظائر في القران الكريم ، لمقاتل بن سليما ن البلخى ت: ١٥٠هـ.
٢ـ كتاب (التصاريف) وهو فيما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه، ليحيى بن سلام ت:٢٠٠هـ
٣ـ المفردات في غريب القران ، للراغب الأصفهاني ت: ٥٠٢هـ حيث تتبع مادة الكلمة القرآنية وبين دلالاتها في مختلف الآيات.
٤ـ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، لابن الجوزي ت: ٥٩٧هـ
٥ـ إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، للدامغاني ت: ٤٧٨هـ
٦ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي ت : ٨١٧هـ.
٧ـ كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر ، لابن العماد ت: ٨٨٧ هـ
المحرر في علوم القرآن د. مساعد الطيار
دراسات في علوم القرآن الكريم د. فهد الرومي.
مباحث في علوم القرآن مناع القطان
مناهل العرفان لمحمد عبد العظيم الزرقاني.
البرهان في علوم القرآن لبرهان الدين الزركشي.
. الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي.
– رسائل (الرماني–الجرجاني–الخطابي) تحقيق محمد خلف الله
– الاعجاز البياني –بنت الشاطئ
– البيان في اعجاز القرآن د/صلاح الخالدي
– دراسات في علوم القرآن د/فهد الرومي
– معترك الاقران في إعجاز القرآن للسيوطي
– فكرة إعجاز القرآن نعيم الحمصي